جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلـــوم الإسلاميـــة

قسم أصول الدين

معالم التجديد الكلامي عند مصطفى صبري

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية – تخصُّص: عقيدة إسلامية

الطالب: – عبدالحق حمزاوي

المشرف: – د. محمد عمارة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د.جمال الأشراف	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
د.محمد عمارة	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
د.زهيربن كتفي	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440– 1441هـ/ 2019– 2020م

إهداء

امتثالا لقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤]

أُهدي هذا العمل إلى والديّ الكريمين، أطال الله عمرهما في طاعته وطاعة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وأمدّهما بالصحّة والعافية، وحفظهما من كل سوء.

وإلى جميع من علمنا، وعمل جاهدا لرفع الجهل عنا ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى.

وإلى كل طلبة العلوم الإسلامية في كل زمان ومكان.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه على حسن توفيقه، وكريم عونه، وجزيل فضله على ما فتح به علي من إنجاز لهذه المذكرة، بعد أن سهّل الحَزَنَ، وجعل بعد العسر يسرا.

أما بعد:

فإني أقدم بالغ شكري وعرفاني بالجميل لكل من أعان على إنجاز هذا البحث بقليل أو كثير، وأخص بالشكر الدكتور محمد عمارة، فقد حظيت منه بوافر العناية والرعاية نصحا وتوجيها وإرشادا وعلما فجزاه الله عني خير ما يجزي عباده الصالحين.

كما أشكر القائمين على جامعة حمة لخضر بوادي سوف عامة وعلى القائمين على كلية أصول الدين خاصة فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

ملخص البحث

لقد عاش مُصطفى صبري في فترة حرجة من عمر العالم الإسلامي، وهي سقوط الخلافة العثمانية وإقامة جمهورية علمانية لادينية على طراز الدول الأوروبية الحديثة، وبسقوط الخلافة سقط معها ما تبقى من حضارة المُسلمين، وقد أدّى ذلك إلى انهيار الكثير من المثقّفين والمُفكّرين المُسلمين الّذين فقدوا الاعتزاز بدينهم، وتخلّوا عن شرف التمسّك بشريعته وأحكامه، تحت تأثير ضربات الغزو الفكري، وضغوط الانفتاح والازدهار الذي شهدته الحضارة الغربية في مُختلف الميادين خاصة العلمية منها، وهذا ما جعل بعض علماء الإسلام يُطالبون بتجديد علم الكلام لمُجابهة التحدّيات المُعاصرة، ومن هؤلاء الشيخ مُصطفى صبري الذي دعا إلى ضرورة تجديد مباحث علم الكلام في ضوء القضايا الفكرية المُستجدة التي أفرزتها الفلسفات الوضعية في الغرب والتي لم تكن مطروحة من قبل، وأنّ لكل عصر أفكاره ومباحثه التي يجب أن يتناولها علم الكلام، وقد عمل الشيخ على مُجابهة كل الشبهات الوافدة التي تُشكك المُسلمين في عقائدهم الثابتة بالكتاب والسُنّة، وذلك من خلال توظيف حقائق العلم التجريبي في تفنيدها والردّ عليها.

Summary:

firstly,Mustafa Sabri lived in a critical period in the islamic era, he lived in the fall of ottoman calip hate and secularism period such the European countries nowadays.

In parallel, of fall of ottoman calip hate it also wasfall of the muslims civilization, however,many scholars, thinkers and muslimz they lost pride of their Islamic religion,they give up *their Islamic sharea foundation.*

Many factors affected in the Islamic era such, intellectual invasion, openness and prosperity. Islamic scholars stsrted to renewalof theology to face other waves that affected muslim people. One of them his name mostafa sabri, he reclam to renewal of theology in light of intellectual issues that plilosophies positivist put it.

As result, mostafa sabri challenged suspicious issues that goes through in their religion in Qran & sunna.

جدول الإشارات والرموز المُستخدمة في البحث

الإشارات والرموز	الكلمة
ج	جزء
هـ	هجري
ص	صفحة
م	ميلادي
د.ن	دون مكان النشر ودار النشر
د.ت	دون تاريخ النشر
د.ط	دون طبعة
تح	تحقيق

مقدمـــــــــة

مقدمـــة

إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠ - ٧١]، أما بعد:

منذ أن وطأ الإسلام الأرض، وأعداؤه يخططون، ويعملون جاهدين للقضاء على هذا الدّين القويم،واستأصاله من جذوره، فكانت بداية الأمر حملات عسكرية، لكنهم لم يوفقوا؛ بسبب العقيدة القوية عند المسلمين، وهذا ما جعلهم ينتقلون إلى الغزو الثقافي العقدي، فقد حاولوا تشكيك المسلمين في مسلمات دينهم؛ من خلال نشر الشبهات والشكوك، لكن علماء الكلام كانوا لهم بالمرصاد، حيث بذلوا جهودا كبيرة في مواجهة خصومهم من أهل الأديان الأخرى من الدهرية والملاحدة وأمثالهم، وألّفوا في ذلك الكتب والرسائل، وعقدوا المناظرات، وسافروا للقاء أهل الشبهات في مواطنهم، ونجحوا في إقناع كثير من هؤلاء الخصوم ببطلان عقائدهم، وكان ذلك موضع فخرهم واعتزازهم، فكان هذا العلم حافظًا لقواعد الدّين عن أن تزلزلها شبه المبطلين، ولكن هذا العلم سرعان ما تعرض لكثير من أوجه النقد لدى كثير من علماء المسلمين، على الرغم من الغاية الجليلة التي نشأ من أجلها، وقد تعددت أسباب النقد واختلفت منطلقاتها، وقد اتجه بعضها إلى المنهج والطريقة، وبعضها إلى المسائل والقضايا، وبعضها إلى التقليد والجمود الذي ألمَّ به، وهذه كلها عوامل وبواعث تدعوا إلى ضرورة تجديد هذا العلم.

لقد دعا العلماء المسلمون المعاصرون إلى ضرورة تجديد هذا العلم، ومن أبرزهم الشيخ مصطفى صبري، الذي دعا إلى تجديد مباحث علم الكلام في ضوء القضايا الفكرية المستجدة التي أفرزتها الفلسفات الوضعية في الغرب والتي لم تكن مطروحة من قبل، ليكون قادرًا على مواجهة التحديات الجديدة النابعة من اليقينيات والحقائق التجريبية، التي لا يمكن مجابهتها بالاحتمالات الفكرية القديمة، كما كان الشأن في مواجهة الفلسفة اليونانية القديمة.

أولا: إشكالية البحث

امتاز التجديد الكلامي في القرن العشرين بموازاته مع ظهور المذاهب الفلسفية، والنهضة العلمية، وذلك للتمكن من الرد على الشبهات الجديدة حول العقيدة، وفي هذه الفترة ظهر الشيخ مصطفى صبري، وتفاعل مع التجديد الكلامي، ومن خلال هذا نطرح التساؤل الآتي : كيف ساهم مصطفى صبري في تجديد علم الكلام؟ ويندرج تحته تساؤلات فرعية:

- ما مفهوم التجديد في علم الكلام؟
- ما هي بواعث التجديد؟
- ماهي الدعائم التي يقوم عليها التجديد في علم الكلام حتى يُحقِّق مقصده؟

ثانيا: أهمية الموضوع

- كون موضوع العقيدة الأساس الذي ينبني عليه غيره من مجموع ما جاءت به الرسالة الخاتمة، ما يدل على المكانة المرموقة التي يحتلها هذا العلم وموضوعاته بين سائر العلوم الإسلامية.
- كون الموضوع يبحث في علم الكلام الذي يعتبر من أشرف العلوم وأجلها وأرقاها.
- كون أنه يُبرز الجهود الكبيرة التي بذلها مصطفى صبري لتجديد علم الكلام لمجابهة التطورات والمُستجدات الحاصلة في العصر الحديث.
- كون أنه يُبرز مدى فعالية التجديد الكلامي في مُجابهة تطورات العصر الحديث.

ثالثا: أهداف الموضوع

أريد من خلال هذا البحث تحقيق جملة من الأهداف، يمكن تحديدها فيما يأتي:

- الإلمام بمفهوم التجديد في علم الكلام.
- معرفة الأسباب والدوافع التي أدتّ للتجديد في علم الكلام.
- معرفة الدعائم التي يرتكز عليها التجديد في علم الكلام لتحقيق مقصده.
- إبراز التجديد الكلامي عند مصطفى صبري لمواجهة الأفكار الوافدة وإبطال الدعاوي المُغرضة.

رابعا: الدراسات السابقة

بعد عملية البحث وجدت مُذكِّرة وكتاب يخدماني بحثي في موضوع التجديد الكلامي عند مصطفى صبري وهُما:

1- كتاب تحت عنوان الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ط1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1418ه/ 1997م. وهي دراسة أكاد أجزم أنّها قد جمعت بين الترجمة الوافية لشخصية مصطفى صبري وفكره التجديدي إلا أنّه لم يذكر في بحثه عنوانا خاصا يتناول التجديد الكلامي عند الشيخ، وإنّما ذكر موقفه من الفكر الوافد الذي استنتجت بدوري بأنّه هو ذاته تجديد الشيخ في مباحث علم الكلام، وقد عملت جاهدًا لكي يكون استدلالي في هذا عن آراء الشيخ بقوله الذي يكون حرفيًّا لما له من الفائدة لدحض الشُبُهات الوافدة.

2- مذكرة تحت عنوان منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، الباحث: سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، رسالة الماجستير في العقيدة، جامعة الملك سعود، 1422/1421ه، هذه دراسة جيّدة اهتمّت بفكر مصطفى صبري في مباحث علم الكلام إلا أنّه لم يذكر في بحثه عنوانا خاصا يتناول التجديد الكلامي عند الشيخ، وكذلك لم يُحط بكل جوانب التجديد عند مُصطفى صبري فلم يذكر جانب وفود الأحكام الوضعيّة على التشريع، وكذلك قضيّة ترجمة القرآن الكريم.

خامسا: أسباب اختيار هذا الموضوع

تعود دوافع انتقائي لمثل هذه المواضيع العقدية الكلامية إلى أسباب متعددة قسمتها لنوعين هما:

أ- الدوافع الذاتية فترجع إلى ما يأتي:

- إعجابي بشخصية مصطفى صبري الذي هو أحد الدعاة إلى العودة إلى كتاب الله والسنة النبوية.
- الميل الخاص للدراسات الكلامية.
- توسيع دائرة المعارف الشخصية حول هذا الموضوع.

ب- الدوافع الموضوعية فترجع إلى ما يأتي:

- التصدّي لموجة الإلحاد التي تعصف بمن ينتسب إلى الإسلام فضلاً عمّن هو خارج دائرته.
- الإستفادة من منهج الشيخ مصطفى صبري في مواجهة الشبهات الوافدة من الغرب المعاصر.

سادسا: أهم المصادر والمراجع

1- مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين.

2- مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد.

3- مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون.

4- الشافعي حسن محمود، المدخل إلى دراسة علم الكلام.

5- عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدِّين.

سابعا: منهجية البحث

لقد اتبعت في هذا البحث ثلاث مناهج رئيسية وهي كالآتي:

أ- المنهج الإستقرائي: وقد استعملته في البحث من خلال تتبع واستقراء كتب الشيخ مصطفى صبري، بالإضافة إلى استقراء الكتب التي تناولت التجديد في علم الكلام.

ب- المنهج التحليلي: وهذا المنهج لا يخلوا بحث أكاديمي من ذكره غالبًا، وقد استخدمته في بعض التعريفات، وكذلك عند عرض آراء المعارضين للدين، و عرض آراء مصطفى صبري في الرد عليهم.

ج- المنهج الوصفي: وقد استعملته من خلال وصفي لشخصية مصطفى صبري.

سابعا: صعوبات البحث

لايخلو أيّ بحث علمي أو عمل دراسي من صعوبات تعترضه ولعل أبرزها تمثّلت في:

- النقص الملحوظ في المقالات والمؤلفات الأكاديمية التي تناولت الفكر التجديدي لمصطفى صبري في علم الكلام.

ثامنا: خطة البحث

قسّمت هذا البحث إلى: مقدّمة، ومبحث تمهيدي، مبحث أوّل وثاني، وخاتمة.

تتكون هذه الدراسة من مبحث تمهيدي ومبحثين آخرين، حيث يضم كل مبحث من أربعة إلى خمسة مطالب، عرّفت في المبحث التمهيدي الشيخ مصطفى صبري، فذكرت في المطلب الأول اسمه ونسبته، وفي المطلب الثاني مولده ونشأته، وفي المطلب الثالث نشاطه العلمي والسياسي، وفي المطلب الرابع آثاره العلمية، وفي المطلب الخامس مرضه ووفاته.

أمّا في المبحث الأول فقد تعرّضت لمفهوم التجديد في علم الكلام، فذكرت في المطلب الأول تعريف علم الكلام ومراحله، وفي المطلب الثاني تحدّثت عن معنى التجديد في اللغة والاصطلاح،

وفي المطلب الثالث بيَّنت المقصود بتجديد علم الكلام، وفي المطلب الرابع ذكرت بواعث التجديد في علم الكلام ودعائمه التي يتحقق مقصده بها.

وأمّا في المبحث الثاني فقد تطرّقت إلى إسهامات مصطفى صبري في تجديد علم الكلام، وقسمته إلى أربعة مطالب، حيث أنّه في المطلب الأول تحدثت فيها عن الجانب الإلهي، وفي المطلب الثاني تحدّثت عن قضية إنكار النبُوَّة و المُعجزات الكونية، وفي المطلب الثالث تحدّثت عن قضيّة وفود القوانين الوضعيّة على التشريع، وفي المطلب الرابع تحدّثت عن قضيّة ترجمة القرآن الكريم.

مبحث تمهيدي: الترجمة الشخصية لمصطفى صبري

- ✓ المطلب الأول: الاسم والنسبة والمولد والنشأة.
- ✓ المطلب الثاني: النشاط العلمي والسياسي.
- ✓ المطلب الثالث: آثاره العلمية.
- ✓ المطلب الرابع: مرضه ووفاته.

مبحث تمهيدي: الترجمة الشخصية لمصطفى صبري

كانت حياة مصطفى صبري حافلة بالإنجازات والأعمال المتميزة في شتّى النواحي: دينيا، اجتماعيا،سياسيا، علميا، فكريا، فقد كرّس نفسه لخدمة هذه الأمة، وذلك بعد التخطيط الجيّد لتغيير واقعها، وسأعرض في هذا المبحث ترجمة موجزة عن حياة هذا المصلح المجدِّد الذي يشهد المسلمون بعظيم صُنعه.

المطلب الأول: الاسم والنسبة والمولد والنشأة

الاسم والنسبة:

هو مصطفى صبري التوقادي ابن أحمد بن محمد القازابادي[1]، من أب وأم أناضوليين ذوي نسب عريق في الترك، كما قال هو عن نفسه: " ولدت في سرة الأناضول ببلدة توقاد وأبي وأمي وكذا أبواهما وأبو أبويهما وهكذا دواليك كلهم أناضوليين ذوُو نسب عريق في الترك [2] .

المولد:

ولد في مدينة توقاد بالأناضول[3] في 12 ربيع الأول 1286هـ ، الموافق ل 21حزيران (يونيو) من عام 1869م[4]، وهو تركي الأصل والمولد والنشأة[5].

---

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط2، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1401هـ/ 1981م، ج1، ص: 71 .

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ط1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1418هـ/ 1997م، ص63 .

[3] خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج7، ص: 236 .

[4] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 388 .

[5] خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 236 .

النشأة:

نشأ في بيت علم وفضل، وتربَّى على تعاليم القرآن الكريم حيث حفظه عن ظهر قلب وجوّده و لم يتجاوز العاشرة من عمره، وكان والده رجلاً متديِّنًا تقيًّا صالحًا، وكانت أعظم أمانيه أن يجتهد ابنه في طلب العلم ويُصبح عالمًا من علماء الدين، وكان في رغبته هذه أشدَّ شرهًا من المنهومين[1].

تقول نزاهت هانم ابنة الشيخ: أنّ أباها كان يَتّقِدُ ذَكاءً وفِطْنة مُنْذُ صغره،ولذا فإن أساتذته في توقاد قالوا لجدها أحمد: إنَّ ابنك هذا ذو عقلٍ نَيِّرٍ وصاحب موهبة فذَّةٍ، فلابدَّ أن ترسله إلى قيصرية كي يُكمل تعليمه على أيدي علمائها الكبار[2].

لقد بدت على الشيخ مُنذُ صغر سنّه مخايل النبوغ والذكاء، وقد درس العلوم الإسلامية- علوم القرآن الكريم، والسُنَّة المُطهَّرة، وعلم القراءات، وعلم العقيدة، والتفسير، والفقه، وأصول الفقه، وغيرها- دراسة مُستفيضة على أيدي كبار العلماء والفقهاء[3].

درس الإبتدائية في مسقط رأسه (توقاد)، وحفظ القرآن، ولّما أتمَّ دراسته على أيدي كبار أهل الفضل ببلدته أمثال الشيخ(أحمد أفندي زُولْبيه زاده)[4] أقنع والدته بأن تأذن له، وتستأذن والده بالسفر لأوَّل مرّة إلى مدينة قيصرية (وكانت مركزًا للعلوم الدينية)[5]، وبعد أن أَذِنَ له والده سافر إليها، وكان في ريعان الصِّبا والشباب، وأخذ ينهلُ من مناهل العلم، حيث أصَّلَ

---

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص:1.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ط1، دمشق، دار القلم، 1427ه/ 2006م، ص: 403.

[3] المرجع نفسه، ص: 78.

[4] **أحمد أفندي زُولْبيه زاده:** من كبار العلماء الأتراك، وأحد فقهاء مدينة توقاد، تتلمذ على الشيخ محمد أمين الدُّوريكي، وحصل منه على الإجازة العلمية، كان يُدرِّسُ لتلاميذه كتاب (شرح الشمسية) للقطب الرازي، في علم المنطق. (مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ط1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1418ه/ 1997م، (هامش) ص:64) .

[5] سيد بن الحسين العفاني، زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين، (د.ط)، القاهرة، دار العفاني، (د.ت)، ج2، ص:225.

دراسته الشرعية على يد الشيخ (محمد أمين الدُّورِيكي)[1]، ثم انتقل إلى الآستانة، حيث أتم دراسته المترتبة لعلوم الشريعة لدى الأستاذ العالم الفقيه الشيخ (أحمد عاصم الكومِلجنوي)[2]، وكيل الدرس في المشيخة الإسلامية.[3]

لقد شدّ الشيخ مصطفى صبري انتباه مشايخه بحدَّة ذكائه وبقوَّة حافظته وعمق تحصيله[4].

****

المطلب الثاني: النشاط العلمي والسياسي

الفرع الأول: النشاط العلمي

لقد كان الشيخ مصطفى صبري يُحِبُّ العِلم حُبًّا كبيرًا، شغوفا بتحصيله، وتدريسه لطلبة العلم، وكانت له جهود كبيرة في المجالات العلمية ومنها:

أوَّلاً: عمله في حقل التدريس

فقد شرع في التدريس بعد أن نال الشهادة العالمية، درَّس في جامع محمد الفاتح[1] وهو لم يتجاوز الثانية والعشرون من عمره، وهو منصب مرموق يحتاج إلى جِدٍّ واجتهادٍ وتحصيلٍ طويل[2] ، وهذا الجامع كان في عهد الدولة العثمانية كالأزهر بالقاهرة[3].

---

[1] **محمد أمين الدُّورِيكي:** من كبار العلماء الأتراك، وأحد فقهاء مدينة قيصرية، كان له اهتمام بعلم العقائد والمنطق. (مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ط1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1418هـ/ 1997م، (هامش) ص:65) .

[2] **أحمد عاصم الكومِلجنوي:** وكيل الدرس بالمشيخة الإسلامية ما يزيد على ربع قرن، ولد سنة (1252هـ-1836م) في قرية (ترزي ويران) في لواء (كوملجنة) تخرّج في دار العلوم على يد العلامة عبدالرحمان القرين آبادي، عُيِّنَ رئيسًا للجنة امتحان العالمية، وتوفي في رجب سنة (1329هـ -1911م). (مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ط1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1418هـ/ 1997م، (هامش) ص:65) .

[3] مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ص: 78- 79- 80 .

[4] سيد بن الحسين العفاني، زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين، ج2، ص:225.

استمر في التدريس بهذا الصرح العلمي الكبير سنوات طويلة، أجاز خلالها خمسين طالبًا من طلبة العلم الَّذين درسوا عنده[4].

وفي عام (1314هـ- 1897م) مُنح إمامة جامع (الآثارية) في بشكطاش مع التدريس به، ثم عُيِّنَ مدرِّسًا للتفسير في مدرسة (الواعظين)، وانتُخِب مِن قِبَلْ مجلس المدرِّسين في كلِّية الإلهيات بجامعة الآستانة (دار الفنون) مدرِّسًا للتفسير أيضًا، وبعد ذلك نُقل إلى التدريس في مدرسة المتخصِّصين، حيث درَّس فيها صحيح الإمام مسلم رحمه الله، وفي الثَّاني والعشرين من شهر ربيع الأوَّل سنة 1337هـ الموافق للخامس والعشرين من شهر كانون الأوّل (ديسمبر) سنة 1918م عُيِّنَ مُدرِّسًا للحديث الشريف في المدرسة السليمانية[5].

ثانيا: نشاطاته العلمية

في عام (1316هـ-1898م) اختِيرَ ليكون عضوًا من الأعضاء المُخاطِبين في دروس الحضور[6]، التي كانت تُلقى في حضرة السلطان عبدالحميد[7]، وكان الشيخ أصغر الأعضاء سِنًّا

---

[1] **السلطان محمد الفاتح:** هو محمد الثاني الذي عرفه التاريخ بمحمد الفاتح، ولد في 30 مارس عام 1432م، فتح القسطنطينية سنة 1453م، وتوفي عام 1481م. (أنظر:محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، (د.ط)، القاهرة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، 1414هـ/ 1994م، ص: 45-47).

[2] المرجع السابق، ج2، ص:225.

[3] مصطفى صبري، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، تعليق: مصطفى حلمي، ط1، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية،1425هـ/ 2004م، ص:14.

[4] مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ص: 82.

[5] المرجع نفسه، ص: 83- 84.

[6] هي دروس علمية كانت تُلقى بحضرة السلطان في شهر رمضان. (ينظر: مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مرجع سابق، ص: 69).

[7] **السلطان عبد الحميد:** هو عبدالحميد بن عبد المجيد تسلّم السلطة العثمانية عام (1293هـ-1876م) وعمره 34سنة، رفض مطالب اليهود بجعل فلسطين وطنًا لهم، وتم خلعه من طرف حزب الاتحاد والترقّي، ونفيُه إلى سالونيك ثم إلى استانبول، وتوفي هناك سنة (1336هـ-1918م). (أنظر: علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، (1415هـ-1994م)، ص: 229-267).

في ذلك الوقت، وقد لفت انتباه السلطان بِحِدَّة ذكائه، وقُوَّة إدراكه، ومجاراته العلماء الكبار، وبمقدرته العلمية، فنال تقديره وإعجابه، وعيَّنه قيِّمًا عامًا لمكتبته الخاصة الضخمة الغنية بالكتب والمخطوطات الكثيرة، ونال وسامًا عِلميّا عثمانيًّا ومجيديا من الدرجة الرابعة[1].

ثم اشترك الشيخ في الجمعية العلمية الإسلامية التي تأسست في عام 1326هـ حيث اجتمع علماء الآستانة لتأسيس هذه الجمعية، وكان عددهم 113 وفي الانتخاب السرِّي الذي أجروه لمجلس إدارة الجمعية نال الشيخ جميع أصوات العلماء الحاضرين، وأصدرت هذه الجمعية مجلة علمية إسلامية باللُّغة التركية هي مجلة (بيان الحق) كانت موضع الاحترام باعتدالها وتحقيقها، ورأس الشيخ تحريرها سنين طويلة[2].

ولَمَّا تأسّست دارُ الحكمة الإسلامية يم الإثنين 4 من ذي القعدة(1336هـ) الموافق 12 آب (أغسطس) (1918م)، اختير مصطفى صبري ليكون عُضوًا من أعضائها[3].

ثم ترقّى الشيخ إلى أعلى المناصب العلمية الدينية في الدولة العثمانية، ألا وهو منصب (شيخ الإسلام)[4] وكان هذا تأكيدًا لمستواه وقيمته العلمية، حيث تولى هذا المنصب أربع مرّات متتالية، وإن كانت لفترات قصيرة بلغت في مجموعها ثمانية أشهر وواحدًا وعشرين يومًا[5].

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، مرجع سابق، ص: 84-85-86.

[2] سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، رسالة الماجستير في العقيدة، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، السعودية، 1422/1421هـ، ص: 21.

[3] المرجع نفسه، ص: 89-90.

[4] تأسست مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية في زمن السلطان محمد الفاتح، وكان أنبه العلماء وأعلمهم وأورعهم هو الّذي يُوَلّى مقام المشيخة الإسلامية، (ينظر: مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مرجع سابق، ص: 73).

[5] المرجع نفسه، ص: 92.

الفرع الثاني: النشاط السياسي

لقد كان مصطفى صبري مهتما بالسياسة حتى أنّه قضى ثلث قرن من عمره في حياة الكفاح والنضال السياسي، تقلّد فيه عِدّة مناصب سياسية أخذ على عاتقه فيها الدفاع عن دين الأمّة وأخلاقها وآدابها وسائر شؤونها[1] معانيًا في خلاله ألوان الشدائد والمصائب و مغادرًا المال والوطن مرّتين في سبيل عدم مغادرة المبادئ[2]. و لم يكن للسياسة عنده إلّا معنى واحد وهو جعل الشريعة الإسلامية أساسًا لإدارة الدولة[3].

ولقد كانت السياسة تحتلُّ جزءًا كبيرًا من تفكيره، حتّى أنّه يقول: «اعلم أنّ الأمور منتهية إلى السّياسة، ومنها يستفيد كلُّ خير أو شر قُوّة الوجود في الخارج ابتداءً وبقاءً، وأنَّ المساعي المتعلِّقة بمصلحة العامة إن تجرّدت عن السياسة تذهبُ هباءً وهواءً، وكل نصيحةٍ لا تُؤيِّدُها السياسة فهي بمنزلة تضرّع العاجز، إن شاء المنصُوح له يسمعه مع كون (المسألة) أهم من أن تكون معلَّقة على نصفته أو سماحته، وإن شاء يضحك مِن عجز الناصح، ورُبَّما عاقبه عليها إن لَج»[4].

وقد بدأ مصطفى صبري نشاطه السياسي بعد إعلان الدستور الثاني سنة 1908م، إذ انتخب وقتذاك نائبًا عن بلدته (توقاد) في الأناضول فبرز اسمه وقتذاك لمقدرته الخطابية[5].

---

[1] سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 21.

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص:2.

[3] محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، (د.ط)، القاهرة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، 1414هـ/ 1994م، ص: 202.

[4] النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة، هامش ص: 130، نقلا عن مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ص: 94-95.(تعذر البحث عن المصدر الأساسي)

[5] محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر،ط7،مؤسسة الرسالة، ، 1405هـ/ 1984م، ج2، ص: 344.

وانتخبه أهالي بلدتة (توقاد) لينوب عنهم في المجلس النيابي في البرلمان العثماني ويُسمَّى (مجلس المبعوثان)[1] وذلك يوم 5 شوال سنة 1386هـ الموافق 30 تتشرين الأول (أكتوبر) 1908، ومنذ ذلك التاريخ وهو يقوم بنشاطه السياسي جنبًا إلى جنب مع نشاطه العلمي، ففي الوقت الذي كان نائبًا فيه عن بلدة (توقاد) كان أيضًا يُتابع نشاطه العلمي مدرِّسًا في جامع السلطان محمد الفاتح وعضوًا في الجمعية العلمية الإسلامية ورئيسًا لتحرير مجلتها(بيان الحق)[2].

وفي أثناء اشتراكه في مجلس المبعوثان كانت البلاد تُدارُ بأيدي رجال جمعية (الاتحاد والترقّي)، وكانت تسير في طريقها إلى الهاوية، وظروفها السيّئة كانت تزداد يومًا بعد يوم، وكانت الدولة العثمانية- التي ظلّت ستَّة قرونٍ تُمثِّلُ الإسلام وتُدافع عنه آخذة في التداعي والسقوط[3].

ثم شارك مصطفى صبري في العديد من الأعمال السياسية منها:

عضويته في مجلس النواب العثماني وشارك في تأسيس حزب (الحرية والائتلاف) الذي يُناوئُ حزب (الاتحاد والترقّي)، وتولى منصب الصدارة العظمى والتي تُسمى الآن: رئاسة مجلس الوزراء، وتولى رئاسة مجلس شورى الدولة، وقاوم الاتحاديين الكماليين[4]، وألّف الشيخ

كتابه (النكير على منكري النعمة من الدّين والخلافة) بيَّن فساد الاتحاديين والكماليين، ومحاربتهم للإسلام وأهله[1].

---

[1] هو أحد أجنحة الحياة البرلمانية التي تأسست في الدولة العثمانية عام 1876م، يتم انتخاب أعضائه – من قبل المواطنين العثمانيين الذكور- في اقتراع سري بحيث يمثل كل عضو خمسين ألف مواطن من الذكور ولمدة أربع سنوات. (ينظر: مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مرجع سابق، ص: 78).

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 78-79.

[3] مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ص: 98.

[4] **الاتحاديون** : هم أعضاء جمعية (الاتحاد والترقي) وعلى رأسهم أنور باشا وجمال باشا ومدحت باشا وكل من ناصرهم وسايرهم، **والكماليون** : هم مصطفى كمال أتاتورك وأتباعه. (ينظر: مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مرجع سابق، ص: 88).

لقد شَهِدَ مصطفى صبري الأحداث والاضطرابات التي حصلت في الدولة العثمانية وعايش المأساة التي مرَّت بها الدولة منذ بدايتها، وأدرك أبعادها إدراكًا تامًا، وقدَّر عواقبها الوخيمة ليس على تركيا فحسب بل على الأمَّة الإسلامية قاطبةً، لذا فقد نهض مُشمِّرًا عن ساعد الجدّ يعْمل ويُجاهد لإنقاذ الدولة مما كان ينتظرها، ويُقاوم ويُناضل بقلمه ولسانه عن الإسلام وعن مفهومه في الحكم والحياة، ويبذل مجهودًا جبَّارًا لإيقاظ الأمَّة الإسلامية من غفلتها ولتنبيهها على ما يُحاك حولها من أمور للقضاء عليها وإبادتها، ويقف بكل قوّة في وجوه الاتحاديين والكماليين للحيلولة دون تنفيذ رغباتهم ونواياهم السيِّئة التي كانت تقِفُ خلفها مختلف القوى المعادية للإسلام ولأمة الترك المسلمة، ويَحصرُ كل عزمه وإرادته لمقاومتهم سواء أكانت مقومة عملية أم فكرية نظرية، ويتصدّى لجميع المفكرين والمسؤولين في الدولة الذين أنجبتهم حركة التنظيمات العثمانية.....[2]

لقد عمِلَ مصطفى صبري على التصدِّي لكل الأفكار الهدامة، التي كانت ترى أنّ الإسلام عقبة ضد التطور، من خلال الجهر بآرائه الثابتة، المدافعة عن أصول الإسلام وأنه لا أساس لنهضة الأمة الإسلامية إلا بالتمسك بدينها.

****

المطلب الثالث: آثاره العلمية

لقد تميزت آثار مصطفى صبري العلمية بكثرتها وتنوعها، فلقد كان مؤلفا بارعًا، يغلب على تآليفه الطابع العلمي والبحث العميق، ولذا خلّف بانكبابه على البحث والكتابة، تآليف قيّمة في مجالات عديدة، وقد جاءت مُواكبَة لأحداث عصره، من سقوط الخلافة الإسلامية وإعلان علمانية الدولة، وقد عالج الكثير من القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية والتاريخية والأدبية، فقد ترك كتبًا و رسائل وأبحاث ومقالات وأشعار أكثرها باللغة التركية وبعضها باللغة العربية.

---

[1] سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 22-23.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 88.

الملاحظ من خلال كتبه المطبوعة والمخطوطة أنها تنقسم إلى: كتب باللغة العربية وكتب باللغة التركية، ولقد عملت على ذكر سبب تأليفها بالنسبة للشيخ مصطفى صبري.

الفرع الأول: الكتب المطبوعة والمخطوطة

- **الكتب المطبوعة**

أ- **باللغة العربية:** للشيخ ستة كتب مطبوعة باللغة العربية وهي على مايلي:

1- كتاب (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة):

الكتاب في مضمونه يعبّر عن آراء الشيخ مصطفى صبري- آخر شيوخ الإسلام في عهد الخلافة العثمانية- وتمتزج آراؤه بتفاصيل تاريخية وسياسية وعسكرية وثقافية.

2- كتاب (مسألة ترجمة القرآن):

ألّف مصطفى صبري كتابه هذا للبحث في مسألة الترجمة من وجهتها الشرعية وجهتها السياسية والاجتماعية، ولكشف النّقاب عن مرمى الكماليين من فتنتهم....، وللردّ على مؤيِّديهم ونقض حججهم، وللدّفاع عن سيادة القرآن وصيانته من التحريف والتبديل[1].

3- كتاب(موقف البشر تحت سلطان القدر):

يرد الشيخ فيه على ما زعمه بعض الزاعمين من أنّ تأخر المسلمين وتواكلهم يرجع إلى إيمانهم بعقيدة القضاء والقدر، وهو زعم قديم تولى محمد عبده الرد عليه من قبل، ولكن مذهب المؤلف هنا يختلف عن مذهب محمد عبده[2]، الذي يذهب هو وأتباعه في دفاعهم عن الإسلام مذهبًا يصفه مصطفى صبري بأنه أدنى إلى إرضاء الناقد الغربي والمتفرنج الشرقي[3].

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 231-232.

[2] محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج:2، ص: 346.

[3] مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، ط1، القاهرة، المطبعة السلفية- ومكتبتها، 1352هـ، ص: 23.

4- كتاب(قولي في المرأة- ومقارنته بأقوال مقلِّدة الغرب):

ردَّ الشيخ فيه على دعاة التبرج والسفور، وناقشهم في الشبه التي أثاروها كشبههم في مسألة تعدد الزوجات، ومسألة الحجاب للمرأة المسلمة، ودحض الشيخ هذه الشبهة بالأدلة الشرعية والعقلية، وضرب الأمثلة من الواقع[1].

5- كتاب (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون):

ردَّ فيه على الماديين الذين يُشكِّكون في وجود الله سبحانه وتعالى، وعلى الذين يُنكِرون الغيب والنبوة والمعجزات، وعلى من سرت فيهم عدوى العصر من علماء المسلمين، الذين يذهبون إلى تأويل المعجزات بما يُساير روح العصر، الذي أصبح إيمان أكثر الناس فيه بالعلم المادي فوق إيمانهم بكتاب الله وسنّة رسوله، فتناول فيه بالنقد كثيرًا من مقالات العصريين من علماء الأزهر، وكثيرًا من الكتب التي ذهب أصحابها في الدفاع عن الإسلام مذهب الأوروبيين، مجاراة لروح العلم فيما يظنون[2].

6- كتاب (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين):

في هذا الكتاب خُلاصة آراء المُؤَلِّف الفقهية والفلسفية والاجتماعية والسياسية[3].

ب. باللُّغة التركية: للشيخ سبعة كتب مطبوعة باللُّغة التركية وهي على ما يلي:

1. كتاب (المسائل التي هي هدف المناقشة في الإسلام):

هو في الأصل مجموعة من الأبحاث، كتبها الشيخ بخصوص بعض القضايا والمسائل الاجتماعية والاقتصادية التي كثُر حولها الجدل والنقاش - آنذاك – في تركيا بين الكُتَّاب المتفرنجين من جهة والمُحافظين من جهة أُخرى[1].

---

[1] سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 34.

[2] محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج:2، ص: 347.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص: 348.

2. كتاب (رَدِّي على ما في القول الجيِّد من الرَدى):

الكتاب في مُجمله انتقاد لأحد الأتراك الكبار التخصصين باللغة العربية وعلومها وآدابها وهو الشيخ محمد ذهني أفندي[2].

3. كتاب (القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين العصريين):

ألّف مصطفى صبري هذا الكتاب بسبب أنّ هناك عالمًا مسلمًا من كبار علماء (قازان) في روسيا يُدعى موسى جار الله[3] ألّف كتابا باللغة التركية وسماه (رحمت آلهية برهانلري – براهين الرحمة الإلهية) ضمّنه كثيرًا من الأفكار والنظريات المنحرفة[4].

4. كتاب (المُجدِّدون الدينيون):

ألّف الشيخ هذا الكتاب لأنه قد ظهر في تركيا – آنذاك – زمرة من الكُتّاب والمؤلّفين المبهورين بالحضارة الغربية أطلقوا على أنفُسهم اسم (المسلمون الجدد) ونادوا بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لتطوير الإسلام وتجديد أحكامه، وأشاعوا في النّاس أفكارًا باطلة تُسيءُ إلى الدِّين الحنيف[5].

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 188-189.

[2] **محمد ذُهني أفندي:** (1262-1329هـ/ 1846-1911م) محمد ذهني بن محمد رشيد الرومي الاستامبولي، فقيه حنفي، أديب بالعربية، رومي (تركي) من أهل استامبول. كان من أعضاء مجلس المعارف العثماني ومن المدرسين بالمكتب السلطاني. من كتبه: " الألغاز الفقهية "، " الحقائق " ، "مشاهير النساء في التاريخ"، " نعمة الإسلام " (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:6، ص:123).

[3] **موسى جار الله:** فقيه روسي يُعرف بجار الله التتري، من كبار علماء روسيا، وُلد في سنة 1295هـ/1878م بمدينة روستوف الروسية على نهر الدون، من أهم مؤلفاته: (القواعد الفقهية)، توفي في القاهرة سنة1369هـ/ 1949م .(أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، من منشورات الجامعة اللبنانية، مكتبة الشرقية، بيروت، ج:3، ص:256، نقلا عن مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ط1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1418هـ/ 1997م، (هامش) ص: 196).

[4] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 195 – 196.

[5] المرجع نفسه، ص: 202.

5. كتاب (الإمامة الكبرى في الإسلام):

يُعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي أُلِّفت في مسألة الخلافة الإسلامية، حيث أورد فيه حقائق كثيرة عن عصره، وكشف فيه عن خفايا مجهولة عن الحالة الدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية في أواخر عهد الدولة العثمانية، وأَسهم في أيقاظِ الوعي الإسلامي، وتعريف الأجيال الجديدة بتاريخها الصحيح، وألّف الشيخ هذا الكتاب لسببين هما قيام الكماليين بإلغاء الخلافة العثمانية وقيام بعض الأتراك المُغرضين بترجمة كتاب (الإسلام وأصول الحكم) علي عبدالرازق إلى اللُّغة التركية، لاستغلاله في ترويج الفتنة الكمالية في مسألة الخلافة[1].

6. كتاب (صوم رمضان):

يُرجع تأليفه إلى سببين رئيسيين هما : الأوّل: قيام بعض الكُتّاب الأتراك بالكتابة في الصحف التركية عن صيام شهر رمضان، وأخذوا يَخبطون في أحكامه، ويُلبِّسون على النّاس ماقرّره الشرع الإسلامي فيه. والثاني: تأليف العالم القازاني المسلم موسى جار الله قبل ذلك بسنوات عديدة رسالة في الصوم سمّاها الصوم في الأيّام الطويلة ضمّنها خبْطًا عجيبًا، وآراء خاطئة، تُخالف نصوص الكتاب والسنّة[2].

7. كتاب (رسالة في الإيمان والصلاة والصوم):

تناول فيه الأحكام الشرعية المتعلقة بالإيمان والصلاة والصوم بصورة سهلة وميسّرة[3].

- **الكتب المخطوطة**

أ- **باللُّغة العربية:** من كتب الشيخ المخطوطة باللغة العربية مايلي:

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ص:256-257-258.

[2] المرجع نفسه، ص: 264-265.

[3] المرجع نفسه، ص: 269.

1- كتاب مختارات من الشعر العربي:

جمع الشيخ فيه الأشعار العربية الجيدة، وتناول إثبات وجود الله تعالى والوحدانية التي يتصف بها، وذكر أيضًا ما قيل في فضل العلم وضرورة طلبه وتحصيله.

2- حاشية على كتاب نتائج الأفكار:

تناول الشيخ فيه النحو العربي، وذكر بعض المسائل والمباحث التي تتعلّق به، ولمّح إلى أسماء بعض الكتب النحوية.

ب- باللُّغة التركية: من كتب الشيخ المخطوطة باللغة التركية مايلي:

1- كتاب صيد الخاطر:

هي عبارة عن مذكرات وخواطر سياسية تتعلق بشخصه.

2- حكم لبس القبعة والبرنيطة:

ألّف الشيخ هذا الكتاب لمناقشة الفتاوى المُبيحة للبس القبعة الإفرنجية والردّ عليها.

الفرع الثاني: أبحاثه ومقالاته وأشعاره

أ- **أبحاثه:** للشيخ كثير من الأبحاث أذكر منها ما يلي:

1- مسألة اليمين الغموس

2- ترجمة كتاب (لماذا تأخّر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟) إلى اللغة التركية

3- ترجمة كتاب مرآة الأصول إلى اللغة التركية

ب- **مقالاته:** للشيخ كثير من المقالات أذكر منها مايلي:

1- شيخ الإسلام السابق يبسط آراءه، ويُدافع عن نفسه، ويحمِلُ على خُصومه

2- الحروف الجديدة

3- فتنة القبَّعة الجديدة ومغزاها الجديد

4- الإسلام والمُشكلات الاجتماعية

ج- **أشعاره:** للشيخ كثير من الأشعار أذكر منها مايلي:

1- قصيدة أنا أستقيل

2- قصيدة شيخوختي

3- قصيدة الغد

4- القصيدة النونية

5- قصيدة في المديح.

****

المطلب الرابع: مرضه ووفاته

انتقل الشيخ في آخر حياته إلى الإسكندرية، وهناك أصيب بالتهاب حاد في المسالك البولية، فأُدخل المستشفى وأُجريت له عملية جراحية في البروستات، ولم يلبث أن أُدخل مرة ثانية المستشفى، وأُجريت له عملية أُخرى في البروستات أيضا، ثم خرج من المستشفى وقد تحسنت صحته قليلا، فعاد إلى القاهرة، وهناك عاوده المرض وحصل عنده نزيف، وفي الساعة الثامنة من صبيحة يوم الجمعة 7 رجب سنة 1373هـ/ الموافق 12 آذار (مارس) سنة 1954م انتقل إلى رحمة الله تعالى عن عمر يناهز السادسة والثمانين، وقد شُيِّعت جنازته في صباح اليوم التالي، وقد أقيمت الصلاة في مسجد الكخيا بميدان الأوبرا بالقاهرة وصلوا عليه بإمامة شيخ الأزهر، ثم ساروا به إلى الدرَّاسة في العباسية حيث واروا جثمانه هناك[1].

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 129-130-131.

المبحث الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام

- ✓ المطلب الأول: تعريف علم الكلام ومراحله.
- ✓ المطلب الثاني: معنى التجديد في اللغة والاصطلاح.
- ✓ المطلب الثالث: بيان المقصود بتجديد علم الكلام.
- ✓ المطلب الرابع: بواعث التّجديد في علم الكلام ودعائمه التي يتحقق مقصده بها.

المبحث الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام

علم الكلام من العلوم التي لعبت دورًا بارزًا في الحفاظ على العقيدة الإسلامية بالبرهنة على صدقها و الردِّ على الشبهات الوافدة عليها من طرف خصومها على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، إلاَّ أنَّ هذا العلم قد أصابه الركود، لأسباب كثيرة،جعلته غير قادرٍ على مجابهة مستجدات العصر الحديث وهذا ما أدّى إلى ضرورة حتمية وهي العمل على تجديده.

وفي هذا المبحث سأتطرق إلى تعريف علم الكلام وبيان مراحله ثم أنتقل للحديث عن تجديده.

المطلب الأول: تعريف علم الكلام ومراحله

الفرع الأوّل: تعريف علم الكلام

اختلفت نظرة العلماء في تعريف علم الكلام فبعضهم يجعله مقتصرا على المباحث التي تتفق مع عقائد أهل السنّة، دون الخوض في المسائل الفلسفية، في حين نجد الآخرين قد وسّعوا دائرته؛ فيشمل عقائد أهل السنّة، وغيرهم ممن يخالفهم.

علم الكلام يحقِّق العلم بالعقائد الدينية والدفاع عنها، فهو علم يُتحصل بالنظر في الأدلة والفكر، وغايته إثبات العقائد.

علم الكلام هو لقب أُطلق على الجهود العلمية التي تُعنى بالبحث في الأحكام الاعتقادية من الدِّين الإسلامي، وقد عُرِّف بتعاريف مختلفة، سأعرض أهمها:

تعريف أبو حامد الغزالي[1]:

عرّف الغزالي علم الكلام بقوله: "وإنّما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة"[2].

وعند التأمل في هذا التعريف نلحظ الآتي:

---

[1] **أبو حامد الغزالي**: (450–505هـ/ 1058–1111م) محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، من كتبه: "الوجيز"،: " المستصفى و تهافت الفلاسفة، إحياء علوم الدّين" (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:7، ص:22).

[2] الغزالي، المنقذ من الضلال، ت: عبدالحليم محمود، ط2، بيروت، دارالكتاب اللبناني، 1985م، ص: 87.

يقصر الغزالي وظيفة علم الكلام على الدفاع عن العقيدة في مواجهة الخصوم الذين يُثيرون الشُبه في وجه معتقد أهل السنّة؛ أما أن يكون له وظيفة تحصيلية فهذا ما لا دخل لعلم الكلام فيه. والواقع أنّ هذا غير صحيح؛ إذ أن علم الكلام يقوم بوظيفة تحصيلية أيضًا، وما يلاحظ أيضًا على التعريف، أنّ الغزالي قصر علم الكلام على المدرسة السنّية فقط، والحق أنّ الكلام نشأ على أيدي المعتزلة لشرح وتوضيح العقيدة الإسلامية والدفاع عنها أمام الشبهات التي أثارها اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الملل، ولهم مشاركات مهمة، وكذلك الشيعة والخوارج[1].

تعريف ابن خلدون[2]:

يقول ابن خلدون في مقدمته: "علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والردِّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[3].

إنّ هذا التعريف قريب من تعريف الغزالي في تركيزه على وظيفة هذا العلم الحجاجية وفي كونه علمًا سُنِّيًا، والحق أنّ الدارس لتاريخ هذا العلم يقف على جهود كثرة لمدارس عدّة كان هدفها المنافحة عن اعتقاداتها التي تُؤمن بها، وتراها حقًّا ولم تكن تقصد حراسة عقيدة أهل السنّة[4]

---

[1] جمال الأشراف أبو الحسن علي الحسني الندوي وبناء علم الكلام الجديد،درجة الدكتوراه، كلية أصول الدّين، قسم العقيدة، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة– الجزائر، 1440هـ - 2019م، ص:111.

[2] **ابن خلدون**: (732- 808هـ /1332 - 1406م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولِيّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية، من كتبه: "العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:3، ص:330).

[3] ابن خلدون، المقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة مصطفى محمد ، مصر، ، (د.ت)، ص: 423.

[4] جمال الأشراف، أبو الحسن علي الحسني الندوي وبناء علم الكلام الجديد، ص: 111.

تعريف الفارابي[1]:

عرّفه بقوله: " وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نُصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرّح بها واضع الملّة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل"[2].

وهو بهذا التعريف لم يقصد بيان الكلام الإسلامي، والفرق بينه وبين الفقه على مصطلح أهل الإسلام، بل قصد الكلام في العلوم الدينية جملة فجعلها طائفتين: طائفة تبحث فيما يقتدر به الإنسان على الاستنباط من نصوص الدِّين المأخوذة تسليمًا، وطائفة تبحث فيما يقتدر به الإنسان على نصرة ماجاء به الدِّين من العقائد والأحكام وتزييف كل ما خالفها بالبراهين العقلية[3].

إنّ المتأمل في هذا التعريف تستوقفه مصطلحات هي بمثابة الكلمات المفاتيح لمغاليق نص الفارابي وهي: الصناعة، الملكة، الآراء والأفعال، النصرة التزييف، وبإدراك معاني هذه المفاهيم يتَّضح أن نص الفرابي يتفرع إلى ثلاثة عناصر: يضبط مفهوم علم الكلام أوّلاً، ويحدد العلاقة بين علم الكلام والفقه ثانيًا، وأخيرًا يُبَيِّن أساليب الدفاع عن الدّين (عقيدة وشريعة)[4].

جدير بالذكر أن هذا العلم يتميز بالتطور والتغيير، خلافًا للعقيدة ذاتها، لأنّ الشروح والاستدلالات والردود تخضع لأحوال النّاس وأوضاعهم في الفهم والاقتناع وحسب ثقافتهم،ويتميز أيضًا بالتوسع في مسائله وقضاياه، خلافًا للعقيدة فهي ثابتة القضايا محدودة المسائل، وفي هذا المعنى يقول الأستاذ النجار: "وأما علم العقيدة فإنه بما هو بحث إنساني في

---

[1] **الفارابي**: (260 - 339هـ / 874 - 950م) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابيّ، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب، من كتبه: "الموسيقى الكبير"، " الآداب الملوكية"، "إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:7، ص:20).

[2] أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تح: عثمان أمين، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968م، ص: 131.

[3] مصطفى عبدالرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1363هـ-1944م، ص:259.

[4] بوبكر العربي، المنهج العقلي في الصفات عند المتكلمين دراسة مقارنة بين المعتزلة والأشاعرة، درجة الماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة أبي بكر بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، 1436هـ - 2015م، ص:4.

أحكام العقيدة فهما وشرحًا واستدلالاً وردًّا للشبه ، يتصف بأنّه غير محدود في مسائله وقضاياه، بل هو ممتد في ذلك بما يتسع من المعرفة الإنسانية التي تصلح أن تتخذ مقدمات للستدلال على حقائق العقيدة، وبما يتَّسع من الجبهات التي ترد منها التحدّيات الموجّهة إليها فتستلزم ردودًا عليها"[1].

الفرع الثّاني: مراحل علم الكلام

مرّ علم الكلام منذ نشأته إلى وقتنا بمراحل كثيرة، تراوحت بين القوّة والضعف، وتميزت كل مرحلة بميزات تختلف عن المراحل الأخرى، ويمكن تلخيص هذه المراحل عن النحو الآتي:

مرحلة النشأة: واستغرقت زمنيا القرنين الهجريين الأوّل والثاني[2] تقريبًا، وإن كانت المناقشات في مسائل العقيدة حدثت في القرن الأوّل، إلاّ أن النشأة الحقيقية لهذا العلم لم تكن إلاّ في أوائل القرن الثاني على يد واصل بن عطاء[3] وعمرو بن عبيد[4]، وهما من المعتزلة، وفي هذه المرحلة وُضعت المعالم الأساسية لهذا العلم في قضاياه وفي منهجه، إلاّ أنّه لم تظهر في كل القضايا ولا كل الطرق الاستدلالية التي اِكتملت فيما بعد، وكذلك أُلِّفت فيه بعض الرسائل والكتب التي لم يصل منها شيء يُذكر، ولكن هذه التآليف لم تكن إلاَّ بدايات تأسيسية تتصف بالبساطة شأن سائر العلوم في أطوار نشأتها[5].

ومن أهم القضايا التي افترقت عليها الآراء في هذه المرحلة نذكر:

1- مسألة حكم مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أم كافر.

---

[1] عبدالمجيد النجار، الإيمان بالله وأثره في الحياة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997م، ص: 11.

[2] الشافعي حسن محمود، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط2، القاهرة، مكتبة وهبة، 1991م، ص: 53.

[3] **واصل بن عطاء**: (80 - 131هـ / 700 - 748م) واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم: رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:8، ص:108-109).

[4] **عمرو بن عبيد**: (80 - 144هـ / 699 - 761م) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين. كان جده من سبي فارس، وأبوه نساجا ثم شرطيا للحجاج في البصرة، واشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي وغيره، له رسائل وخطب وكتب، منها " التفسير " و " الرد على القدرية" (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:5، ص:81).

[5] عبد المجيد النجار، الإيمان بالله وأثره في الحياة، ص: 20.

2- مسألة الفعل الإنساني بين الجبر والاختيار.

مرحلة النضج: وكانت خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن الخامس، وفيه أصبحت مباحث علم الكلام متوسعة؛ شملت الإلهيات والسمعيات والنبوات.

ومن أشهر علماء أهل السنّة في تلك المرحلة نذكر: الإمام محمد بن اسماعيل البخاري[1].

ومن المعتزلة نذكر: القاضي عبد الجبّار[2].

ومن الأشاعرة نذكر: أبو بكر الباقلاني[3].

ومن الماتريدية الإمام أبو منصور الماتريدي[4].

مرحلة الاستقرار: وكانت خلال الفترة الممتدة من القرن السادس إلى القرن الثامن، حيث لم تعرف هذه المرحلة نموًّا ذا قيمة، ولكن شهدت بعض التغييرات في ما يخص ترتيب وتنظيم البحوث التي أُنجزت في المرحلة السابقة، فأصبح هذا العلم على أحسن حال في عرض المسائل.

ومن أبرز أعلام هذه المرحلة من أهل السنّة نذكر: ابن تيمية[5].

---

[1] **البخاري**: (194 - 256 هـ / 810 - 870 م) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، من كتبه: "الجامع الصحيح"، " الضعفاء"، "خلق أفعال العباد". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:6، ص:34).

[2] **القاضي عبد الجبّار**: (... - 415هـ / ...- 1025م) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الاسد ابادي، أبو الحسين: قاض، أصولي،وكان شيخ المعتزلة في عصره، من كتبه: "شرح الأصول الخمسة"، " الأمالي"، "المغني في أبواب التوحيد والعدل". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:3، ص:273).

[3] **أبو بكر الباقلاني**: (338 - 403هـ / 950 - 1013م) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت اليه الرياسه في مذهب الأشاعرة، من كتبه: "إعجاز القرآن"، " الإنصاف"، "منلقب الأئمة". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:6، ص:176).

[4] **أبو منصور الماتريدي**: (... - 333هـ / ... - 944م) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام، من كتبه: "التوحيد"، " مآخذ الشرائع"، "أوهام المعتزلة". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:7، ص:19).

[5] **ابن تيمية**: (661 - 728هـ / 1263 - 1328م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، من كتبه: "الجوامع"، " الفتاوى"، "الجمع بين النقل والعقل". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:1، ص:144).

ومن الأشاعرة نذكر: عضد الدّين الإيجي[1].

مرحلة الجمود والتقليد: وكانت خلال الفترة الممتدة من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر، وفيها اقتصر العلماء على تآليف أسلافهم؛ فعملوا على دراستها وشرحها واختصارها والتعليق عليها، دون أي إضافة تُذكر، وأصبح هذا العلم غير قادرٍ على الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

ومن أبرز أعلام هذه المرحلة نذكر الإمام السنوسي[2].

مرحلة التجديد: كان علم الكلام يعتمد اعتماداً مُطلقًا على جهود السابقين؛ في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وهذا ما جعله يتَّصف بالتقليد والجمود، لكن بفعل التحدّيات التي تعرّضت لها العقيدة الإسلامية من خلال الغزو الثقافي الغربي الذي كان يعتمد على الفلسفة اِعتمادًا كبيرا، وكذلك التطور العلمي في مختلف المجالات، ممَّا جعل الأساليب القديمة التي كان يعتمد عليها علماء الكلام في الدفاع عن العقيدة غير نافع في مواجهة هذه الشبهات المستجدة في ذلك العصر.

وهذا ما أدّى إلى ظهور نزعة تجديدية في عرض العقيدة الإسلامية، وبيان صحتها، وتفنيد كل ما يعارضها.

****

[1] **عضد الدّين الإيجي**: (... - 756 هـ / ...- 1355م) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عَضُد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية، من كتبه: "المواقف"، " العقائد العضدية"، "جواهر الكلام". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:3، ص:295).

[2] **السنوسي**: (832 - 895هـ / 1428 - 1490م) محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني، من جهة الأم، أبو عبد الله: عالم تلمسان في عصره، وصالحها، من كتبه: "شرح صحيح البخاري"، " مختصر في علم المنطق"، "عقيدة أهل التوحيد". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:7، ص:154).

المطلب الثاني: معنى التجديد في اللغة والاصطلاح

الفرع الأول: التجديد لغة

جاء في لسان العرب التجديد من الجِدَّةُ: وَهِيَ نَقِيضُ البِلَى؛ يُقَالُ: شَيْءٌ جَدِيدٌ، وَالْجَمْعُ أَجِدَّةٌ وَجُدُدٌ وَجُدَدٌ؛ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: جَدَّ الثَّوبُ وَالشَّيءُ يَجِدُّ، بِالْكَسْرِ، صَارَ جَدِيدًا، وَهُوَ نَقِيضُ الخَلَقِ، وأَجَدَّ ثَوْبًا وَاسْتَجَدَّهُ: لَبِسَهُ جَدِيدًا،وَكَقَوْلِهِم: جَدَّد الوُضُوءَ وَالعَهدَ، والجَدِيدُ: مَا لاَ عَهْدَ لَكَ بِهِ وَهُوَ ضِدُّ القَدِيمِ، والجَدِيدَان هُمَا اللَّيلُ وَالنَّهَار[1].

وجدَّدَ الشَّيءَ صيّره جديدا، ومنه جدد وضوءه، وجدد عهده، يعني أعاده وكرَّرَه وأكّده[2].

ولقد استُعمل مصطلح التَّجديد في الفكر الإسلامي أخذًا من الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داوود في سننه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[3].

الفرع الثاني: التجديد اصطلاحا

لقد تعدَّدت التعريفات حول مفهوم التجديد، حيث عرّفه العلقمي[4] حيث قال: أنّه "إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما"[5].

---

[1] جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة: جدد، ط3، بيروت، دار الصادر، 1414هـ، ج2، ص: 563.

[2] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، ت: أحمد عبد الغفور عطار، 1984م، 2/ 454.

[3] أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم4291، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط)، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت)، ج 4، ص: 109. صححه: محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، (د.ط)، الرياض، مكتبة المعارف، (د.ت)، ج:2، ص:148.

[4] **العلقمي**: (593 - 656هـ / 1197 - 1258م) محمد بن أحمد (أو محمد بن محمد ابن أحمد) بن علي، أبو طالب، مؤيد الدين الأسدي البغدادي المعروف بابن العلقميّ: وزير المستعصم العباسي. وصاحب الجريمة النكراء، في ممالأة " هولاكو " على غزو بغداد. (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:5، ص:321).

[5] المناوي، فيض القدير، ط: 1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1956م ، ج:2، ص: 281.

وعرّفه المناوي[1](ت1031هـ)، بأنّه: "بيان السنّة من البدعة، وإكثار العلم نُصرة أهله، وكسر أهل البدعة"[2].

وعرّفه الكاتب عمر عبيد حسنة بأنّه: "الفهم الجديد القويم للنص، فهمًا يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه في كلِّ عصرٍ يعيشه، مُعالجة نابعة من هدي الوحي"[3].

وبهذ فإنّني من خلال اِطِّلاعي لمجموعة من التعاريف أجد أنّ المراد بالتجديد هو: تعليم النّاس دينهم وسنّة نبيّهم، وكسر البدع والمحدثات ونفي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإحياء ماندرس من سننه ومعالمه، بفهم صحيح يُغيِّر المفهومات الخاطئة المترسبة في أذهانهم، فيهتدون بذلك إلى علاجٍ منضبطٍ نابعٍ عن الكتاب والسنّة، لمعالجة مشكلات وقضايا كلِّ عصرٍ يعيشون فيه.

****

المطلب الثالث: بيان المقصود بتجديد علم الكلام

المقصود بتجديد علم الكلام تطويره وتكييفه لطور جديد من أطوار التاريخ بحيث يستجيب لمتطلبات الحياة المتغيرة ويجيب عن الأسئلة الجديدة والإشكالات المعاصرة التي تقتحم عالمنا الإسلامي، ونحن نرى أن متنقي كل الأيديولوجيات يُكرِّسون الجهود، ويرصدون الأموال، ويُنفقون الأوقات، من أجل تطوير منهجيات وأساليب وصيغ لطرح أفكارهم ومذاهبهم حتّى تكتسب قوّة القدرة على النفاذ في القلوب، والإستحواذ على العقول، ويستعينون بالعلوم

[1] **المناوي**: (952 - 1031هـ / 1545 - 1622م) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون، من كتبه: "كنوز الحقائق"، " فيض القدير"، "شرح الشمائل للترمذي". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:6، ص:204).

[2] محمد عبدالرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، المكتبة التجارية، القاهرة، 1356هـ-1938م، ج:2، ص: 281-282.

[3] عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص: 20.

الإنسانية المختلفة لترويج سلعهم وأفكارهم وإيحاءاتهم؛ وقد نجحوا في تحقيق أهدافهم نجاحاً مكّنهم مَن إحداث غزو ثقافي شديد التأثير على العقول والنفوس[1].

المطلب الرابع: بواعث التّجديد في علم الكلام ودعائمه التي يتحقق مقصده بها

الفرع الأول: بواعث التّجديد في علم الكلام

طرأ على علم الكلام القديم العديد من العوامل التي أدّت إلى قصوره، وجعلته غيرَ قادرٍ على مواجهة التَّحدِّيات المستجدَّة، في طرح الشبهات والتشكيكات حول العقيدة الإسلامية، بأساليب ومناهج عرفت تطوُّرًا كبيرًا، ممَّا استوجب التجديد في علم الكلام ومن هذه التّحدِّيات أذكر:

1- سيطرة المنطق الأرسطي:

لقد سيطر المنطق الأرسطي على المتكلمين فأصبح عندهم أساسًا في البحث العلمي، وقياسه أساس استدلالهم على المسائل والآراء، وحججه ميزان الوصول للحقيقة، ولكن مع مرور الأزمان وتطوّرٍ في مجالات كثيرة، إكتشفوا أن هذا المنطق لا يعتني بالواقع المتجدّد، وهذا ماجعله يُسبِّب مشاكل في حياة المُسلم، واضطربت أفكاره.

2-الفصام بين النظر والعمل:

لقد بالغ المتكلِّمون في استعمال المنطق الأرسطي في علم الكلام؛ حتّى أدى إلى انحرافه على مساره، فأصبح يبحثُ عن عوالم ذهنية؛ البعيدة عن الواقع ومتطلباته ومشاكله، فتغلّبت بالتالي النزعة التجريدية الذهنية على المنحى الدافع في التفكير الكلامي، وتحول علم الكلام إلى مشاغل عقلية، تتوغّل في صناعة آراء ومفاهيم لا علاقة لها بالحياة[2].

---

[1] أحمد كمال، حوار لا مواجهة من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد، دار الشروق، 1988م، ص: 244، نقلاً عن : محمد خيري حسن العمري، "علم الكلام بين الأصالة والتجديد"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 3/أ، 1430هـ- 2009م، ص:243.

[2] عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدِّين، ط1، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدِّين، 2016م، ص: 16.

3-تفريغ علم الكلام من محتواه الاجتماعي:

لقد كانت العقيدة التي يستوحيها المسلم من الوحي طاقة تنتج الإيمان، وتُوجِّه السلوك، ولا تفصل بين الإيمان بوصفه حالة وِجدانية وبين السلوك الإنساني، غير أن علم الكلام الذي هيمن عليه المنطق الأرسطي، أفرغه من المُحتوى الإجتماعي، وأصبحت حقائق العقيدة تُشبه أن تكون تصديقات ذهنية مُجردة لا علاقة لها بالواقع.

4- عدم تناول الإنسان في الكلام القديم:

لقد أهمل المتكلّمون في بحوثهم ومؤلّفاته ذكر الإنسان، واشتغلوا بالبحث والتنقيب عن الخالق، وعن صفاته، وكلّ ما يتعلّق به، وهذا ماجعله علما غير شاملٍ، وكان من الضروري أن يكون للإنسان مباحث متعددة، تختص بدراسته، وذلك بمعرفة سبب وجوده، وكذلك قيمته في وسط المخلوقات الأخرى، وحقوقه وحرّياته التي يتمتّع بها.

يُعتبر عدم وجود مبحث الإنسان في الكلام القديم أهم أحد التغيُّرات فيه، التي تركته يحوم حول مدارات مُغلقة بعيدًا عن التجربة البشرية، وهذا ما منع علم الكلام القديم من الحضور إلى الحياة[1].

5- شيوع التقليد في علم الكلام:

عكف المتكلِّمون من المتأخّرين على دراسة مؤلفات أسلافهم وعمِلوا على شرحها والتّعليق عليها، دون أيِّ إضافات تُذكر في هذا العلم، وهذا ما عطّل روح الإبداع والإجتهاد عندهم، ومع مرور الأزمان أصبح هذا العلم غير قادرٍ على مواكبة التطوُّرات والتغيُّرات الحاصلة في العالم.

6- الإستشراق:

لقد عمِلَ المُستشرقون على قذف الشَّريعة الإسلامية بالشّبهات قصد تشويهها، وتحريف حقائقها ليُضعفوا عزيمة المسلمين، وتشكيكهم في دينهم[2]، ومن بين هذه الشبهات التي أثاروها زعمهُم أنّ سبب تخلُّف المسلمين وانحطاطهم في مقابل التطوُّرات الحاصلة في العالم الغربي هو

[1] محمد باقر الصدر، موجز أصول الدّين، تح: عبدالجبار الرفاعي، ط1، بيروت- لبنان، دار الهادي، 1421هـ-2000م، ص: 25.

[2] مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، (د.ط)، دار الوراق المكتب الإسلامي، (د.ن)، (د.ت)، ص: 20.

إيمانهم بالقدر، ومن الشبهات التي أثاروها أيضًا أنَّ القرآن الكريم ليس وحيًا، وإنّما هو كلام محمد صلى الله عليه وسلم.

7- العلمانية:

دعوة العلمانية نشأت في الغرب بفعل طُغيان الكنيسة وتسلُّطها- والذي يقوم على مبدإ إقصاء الدّين من شؤون الدّولة ونظام الحكم، وهي تُمثِّل خطرًا عظيما على دين الإسلام والمسلمين، وحملتُها ضخمة على الألوهية والأخلاق والبعث، فهي تسعى إلى هدم الدين في المجتمع أو إخراجه إخراجًا كاملاً من مضامينه وقِيَمِهِ، وساعد انتشار العلمانية في العالم الإسلامي انحراف كثيرٍ من المسلمين عن العقيدة الإسلامية، وانتشار البدع والأهواء.

إنّ الفكر العلماني اليوم في البلاد الإسلامية يُصارعُ الإسلام ويعمل على إقصائه من المشاركة في حركة الحياة أو الإسهام في إدارتها، ويُحاول حصره في دائرة ضيِّقة لا تتعدّى ممارسة الشعائر، وفي حدود علاقة الفرد بربّه، وذلك هو تفريغ الإسلام من مُحتواه مِثلما فَعل الأوربيون بالكنيسة[1].

8- الحداثة:

تهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين ، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية ، والنفاذ إلى أعماق الحياة. والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوروبا كالمستقبلية والوجودية والسريالية وهي من هذه الناحية شر لأنها إملاءات اللاوعي في غيبة الوعي والعقل وهي صبيانية المضمون وعبثية في شكلها الفني وتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمر للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبي ولظهور الشك والقلق في حياة الناس[2].

---

[1] محمد السيد الجليند، من قضايا الفكر الإسلامي، (د.ط)، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، (د.ت)، ص: 96.

[2] الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: مانع بن حماد الجهني، ط4، (د.ن)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ، ج:2، ص: 867.

الفرع الثاني: دعائم التّجديد في علم الكلام

من الضروري أن ينبني التّجديد على أُسُسَ متينة، ودعائم قويّة ثابتة، تُمكِّنه مِن مُواكبة التطوُّرات، ومواجهة الواقع الجديد الذي يختلف في جوانب كثيرة عمّا سبق له مواجهتُه، لِيقوم بدوره على أكمل وجه، ويُحقِّقَ المقاصد والغايات المَرجُوَّة منه، والتي تتمثّل في:

1- الإلمام بالواقع الفكري للتحديات المعاصرة

ويُقصد به الدراية التّامة بالأفكار والمضامين التي يُنتجها المخالفون للعقيدة في مُختلف المجالات، وذلك بتتبع المذاهب الفلسفية والفكرية وتقصّي أفكارها وأهدافها، وأسباب ظهورها في مجتمعاتها، والأصول التي تقوم عليها، وتلك هي النقطة الأولى في بناء عمل نقدي يكشف زيفها وجوانب العوار فيها[1].

وكذلك المعرفة التّامة بكل الأساليب التي ينتهجها الخصوم لكي يستطيعوا دحض وتفنيد كل المقولات الوافدة بنفس أساليبهم التي طبقوها في إيراد تلك المقولات.

2- التناسق بين قضايا علم الكلام الجديد والتحديات المعاصرة

علم الكلام القديم كان مُهتمًّا بمسائل معيَّنة، تقتضيها المرحلة الزمانية التي كانوا فيها، حيثُ عمِلوا على مُواكبتها، من خلال الردّ على الشبهات والتشكيكات الوافدة على العقيدة الإسلامية، ولكن لَمّا تطورت الحركة العلمية، والمجالات الأخرى كالاِجتماعية والسياسية، خرجت مسائل جديدة تختلف كلّ الاِختلاف عمّا كانت سابقًا.

فالتجديد في المسائل يعني ظهور مسائل جديدة لم تكن معروفة من قبل نتيجة للشبهات المُستحدثة، ومن المسائل التي تجددت مواكبة للتَّحديات المعاصرة ما يلي:

مسألة الإنسان: الذي أصبح ضرورة حتمية لدراسته، وذلك من خلال التعرُّف على علم الإنسان، ووجوده، وصفاته، وعقله، وماضيه، ومستقبله، ومصيره، ووظيفته في الكون والحياة، فهو محور كل دين وشريعة، ووراء كل لغةٍ وفكر .

3- التناسق بين منهج علم الكلام الجديد وتحديات العصر الجديد

لقد كان علم الكلام القديم يستخدم أساليب جدلية نابعة من المنطق الأرسطي، والذي كان يتَّسِم بالنزعة التجريدية، وهو ما جعله ملائمًا للعقلية الذهنية السائدة آن ذاك، ولكن مع

[1] جمال الاشراف، أبو الحسن علي الحسني الندوي وبناء علم الكلام الجديد، ص: 140.

التطوّرات الحاصلة في العالم أصبح هذا العلم، لا يُساوي شيئ لأنّه لم يكن يستند إلى تجربة محسوسة عل صحة ما يدّعيه، ممّا أصبح لزامًا على تغيير الأساليب والمناهج المُعتمدة في الجدال، حتى تكون الأطراف متساوية في ما يُحتكم فيه، للبرهنة على صحّة الإدّعاء من طرف المُتخاصمين.

يقول وحيد الدين خان مبيّنا طبيعة علم الكلام الجديد: " تتلخص حقيقة علم الكلام في أنه استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن الذهن الجديد والعقلية الجديدة وتُوصل التعاليم الإسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديد.[1]

****

[1] وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي المنهج والشروط، ط1، القاهرة، دار الصحوة، 1984، ص: 102.

المبحث الثاني: إسهامات مصطفى صبري في تجديد علم الكلام

- ✓ المطلب الأوّل: قضية الجانب الإلهي.
- ✓ المطلب الثاني: قضية إنكار النبوة والمعجزات الكونية.
- ✓ المطلب الثالث: قضية وفود القوانين الوضعية على التشريع.
- ✓ المطلب الرابع: قضية ترجمة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: إسهامات مصطفى صبري في تجديد علم الكلام

لقد بحث مصطفى صبري عن الكيفية الصحيحة لإعادة الأمّة الإسلامية إلى عقيدتها السليمة؛ التي لا يشوبها شك ولا ريب، النابعة من الوحيين- الكتاب والسنة- وتخليصها من الشوائب التي علقت بها؛ نتيجة الأوضاع الفكرية والثقافية المعاصرة من خلال اتصال الشرق بالغرب وتأثره بفلسفاته وأفكاره، ولهذا فإنه قد أخذ على عاتقه مهمة أساسية مفادها الجهاد العلمي الديني، سعيًا منه إلى تعليم المسلم المسائل المتعددة العلمية منها والفلسفية، ليكون قادرًا على التصدي لجميع الشبهات الوافدة، التي تنخر في عقيدته، فالنهضة العلمية لا تقوم إلا بالمعرفة الدينية المبنية على أصول متينة، والآلية التي قررها مصطفى صبري لكي تكون السبيل للإصلاح المعرفي في ميدان المعرفة العقدية هي علم الكلام الذي يعتبره المسلك الذي يجب على المصلح أن يسلكه.

من الدعوات الرائدة لمصطفى صبري هو دعوته لتجديد مباحث علم الكلام في ضوء القضايا الفكرية المستجدة التي أفرزتها الفلسفات الوضعية في الغرب والتي لم تكن مطروحة من قبل – في عهد الأوائل- وهو ما يؤكد قناعته ب " وظيفة الأفكار"، وأن لكل عصر أفكاره ومباحثه التي يجب أن يتناولها علم الكلام، وهي دعوة إلى تطوير وتجديد لمبحث هذا العلم ومناهجه المُستخدمة في آن واحد[1].

وقد أسهم مصطفى صبري في تجديد علم الكلام في جوانب متعددة سأذكرها إن شاء الله تعالى في هذا المبحث.

المطلب الأوّل: قضية الجانب الإلهي

الإيمان بالله تعالى من أهم أصول الإعتقاد عند المسلمين، فلا يكون المرء مسلمًا إلَّا بالإيمان به سبحانه وتعالى، فقد جاء في القرآن قوله تعالى مبيّنا إيمان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بأركان الإيمان قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ

[1] حسان عبدالله حسان، " الإصلاح المعرفي والتغريب في العالم الإسلامي (2)، مجلة المسلم المعاصر، العدد 153، 2014م، ص: 76.

﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وجاء في الحديث أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم قائلًا: « **يارسول الله، ما الإيمان؟ قال: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّه، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِه، وَرُسُلِه، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ"..... »**[1].

إنّ الملحدين قد وُجدوا منذ القدم وقد ذكر بعضهم الله تعالى في كتابه قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤**﴾ [الجاثية: ٢٤].

وقد علّق الملاحدة في هذه الآية موتهم وفناءهم بالدهر الذي لا ينفع ولا يضر إلا بأمر الله فهو المتصرّف في جميع المخلوقات دون استثناء.

أمّا الإلحاد المعاصر فهو الذي يقوم على المنهج التجريبي الذي يعتبرونه المنهج الوحيد الصالح للفكر البشري، ولا يمكن تصديق أي شيء يكون خارج قُدرة الحواس على استيعابه.

لقد تناول مصطفى صبري قضية وجود الله في الفكر المادي الحديث الحاصر اليقين العلمي في المحسوسات والمُجرّبات فقط، تناولها بالنقد والتحليل والتّفصيل وأطال كثيرًا حتّى استغرق منه الجزء الثاني كله من كتابه الكبير (موقف العقل) وشطرًا من الجزأين الأوّل والثالث[2] وقد صارع المُلحدين لفترات طويلة وعمل على بيان حججهم وشبهاتهم في إنكار وجود الله تعالى، ثم ردّ عليها ردودًا مُفحمة بيّن بطلانها.

الفرع الأول: عرض حجج وشُبهات المُلحدين

الملاحدة المادّيين والطبيعين، نتيجةَ تمسّكهم بالفلسفة الوضعية، وتطبيقهم المنهج الحسي التجريبي على مسائل ما وراء الطبيعة؛ أنكروا جميع الغيبيات لعدم وقوعها في متناول الحسّ

[1] مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، حديث رقم: 9، تح: محمد فؤاد عبد الباقي،(د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث، (د.ت)، ج:1، ص: 39.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:323 .

والتجربة، وكان في مُقدِّمة تلك الغيبيات وجود الله سبحانه، فأنكروا أن يكون هناك إله عليم خالق حكيم[1].

لقد تتبّع مصطفى صبري ودرس فكر الإلحاد، فوجدهم يَبنُون فكرهم على ثلاثة حُجج كبرى واهية وهي:

1- اِحتجُّوا بأنّهم بحثوا عن الفاعل المُوجد للعالم الذي يُسميه المؤمنون "الله" فلم يجدوه، ولم يروه بأيِّ آلةٍ راقيةٍ ترى ما لا تراه العيون من القريب والبعيد[2].

2- اِحتجُّوا بإنكار العلم المادي لوجود الله تعالى، وقالوا بأن العلم الحديث لا يُعوِّل على الاستدلال العقلي و يتطلّب دليلًا من التجربة والمشاهدة[3].

3- اِحتجُّوا بنظرية (داروين)[4] في النشوء والاِرتقاء، وأنَّ هذه النظرية ثابتة علميًّا وقائمة على المشاهدة والتجربة وبناءً على النظرية أنكروا وجود الله، وفسّروا ما يحصُل في الحياة تفسيرً ماديًّا، فداروين نفى تعدد الأنواع مُطلقًا في الحيوان تعدُّدًا أصليًّا، فلم يحصل الحيوان عنده في مبدأ حصوله أنواعًا مُختلفة مستقلّة بل حصل نوع واحد ثمَّ تولَّدت منه أنواع ومن الأنواع أنواعٌ أُخرى، وكان الاِستمرار في التوالد مُقترنًا بارتقاء الجديد بالنسبة إلى القديم مع انقراض ما لا يستحق البقاء من هذه الأنواع السابقة واللاحقة، وكما يوجد بين الأنواع الموجودة أنواع مُنقرضة كما يُمكن أن يوجد بين الإنسان الذي هو أرقى الأنواع وأحدثِها وبين القرد الذي يُشبه الإنسان أنواع متوسطة منقرضة، وكما يُمكن أن يكون الإنسان والقرد متفرعين من أصل واحد مُنقرض[5].

---

[1] المرجع السابق، ص: 324.

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 73 .

[3] المصدر نفسه، ج2، ص: 275.

[4] **داروين**: ولد تشارلس داروين في 12 فبراير عام 1809م في شروسبوري من أسرة اشتهرت بنزعتها العلمية، وجده ارازموس داروين كانت له شهرة كبيرة في ميدان العلم ، من كتبه: "أصل الأنواع"، "أصل الإنسان"، صاحب نظرية التطور، توفي في 19 إبريل 1882م. (يحي هاشم حسن، الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ن)، ص: 26).

[5] سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 92-93.

ولكن بعد إنكارهم وجود الله تعالى بهذه الحجج السابقة، صُدموا بمُشكلة كبيرة مفادها هذا الكون المحسوس ومايتضمنه من نظام وإتقان يُدهش العقول، مما جعلهم يضطربون ويتخبّطون في إسناد إيجاد ذلك الكون، وفي تأويل ما فيه من نِظامٍ ودقّة، فعَمدوا إلى إثارة الشبه الكثيرة فأثّرت بالسلب على عقول الناشئة والشباب، حتى طغت فكرة الإلحاد في أوساط الأمة الإسلامية، ومن أهم تلك الشبهات ما يلي:

الشبهة الأولى:

أن المادة والقوّة الملازمة لها قديمتان أزليتان وأنهما هما اللّتان أوجدتا هذا العالم المحسوس[1]. والملاحدة يرجعون كل ما يحدث في الكون إلى حركات ميكانيكية وليس هناك أي فعل أو إرادة من الخالق[2] وذلك ليستغنوا عن الإله الموجد لحادثات العالم.

الشبهة الثانية:

فريق من الملاحدة ينسب ما يحصل في هذا العالم من نظم وإتقان إلى الطبيعة، وأنّها هي التي أوجدت هذا العالم على هذا النظام المُتقن المُحكم؛ فنظام العالم يجري على قوانين طبيعية لا تتغير وأن التجربة المستمرة منذ أكثر من عشرة قرون أقنعت مشاهديها بأن كل ما وقع إنّما يحصل على صورة طبيعية[3].

كما يرون أن العالم وصل إلى ما وصل إليه من الإستحالات التكملية من معدن إلى نبات إلى إنسان، في ملايين من السنين، فقالوا لو كان هذا فعل الإله الخالق القادر على كل ما يشاء لفعله في مدّة قصيرة و لم يحتج إلى العمل التدريجي في المدد الطوال لهذا الحد وإلى إجراء التجارب والتدقيقات الابتدائية، لأنه يتنافى مع قدرة الله التي تتغلب على كل مانع ولا تتوقف على حصول أيِّ شرط، فعلمنا أن الطبيعة نفسها هي التي تغلبت على المشكلات بفضل تلك

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:326 .

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 292.

[3] سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 96.

العصور الطويلات، فليس إيضاح لحادثات تتعلق بمنشأ الأرض غير الإيضاح الناشئ من المناسبات الطبيعية بين الأشياء، ولا حاجة إلى وُجود خالق[1].

الشبهة الثالثة:

أنّ الكون إنّما وُجد بمحض المصادفة العمياء، وأن النظام المشهود في العالم ومافيه من كمال الدقّة والإحكام إنّما هو نظام إتّفاقي محض غير ناشئ من تدبير مدبّر[2]. ومما يدل على ذلك ثلاثة أمور:

1- كثرة التنوع في أشكال الأشياء الكثرة الزائدة، فهي تدل على عدم وجود النّظام لأن النظام مستلزم للاِطِّراد وكثرة التنوع لحد الإفراط ناشئة من التشتت.

2- كون التقلبات الفوضوية في الأشياء يُعدِّل بمرور الزمان بعضُها بعضًا فيحصل منه التكامل بنفسه ويُخيل إلينا أن هناك نظامًا يوصل إليه.

3- الزيادة البالغة في طول الزّمان الذي حصل في التكمل فهو مؤيد لكون التكمل حصل بنفسه ومستغني عن وجود الإله الخالق[3].

الفرع الثاني: مواجهة الفكر الإلحادي

بعدما عرض الشيخ الحجج والشبهات التي اِستند إليها المُلحدون بدأ بمواجهتهم، واتبع في ذلك الخطوات الآتية:

أوّلا: تقرير وجود الله تعالى

اِتَّبع الشيخ في تقرير وجود الله تعالى ثلاثة مناهج وهي:

أ- المنهج القرآني

إنّ طريقة القرآن الكريم في إثبات وجود الله سبحانه وتصرُّفِه في هذا الكون هي الاستدلال عليه بذكر آياته المُنبّة أمام العقل الإنساني من الخلق والإبداع والعناية والإتقان وقيام كل شيء في هذا الكون على الحِكمة والقصد بأسلوب مُعجز يُقنع العقل الإنساني ويملؤه شُعورًا بِعظمة

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 309.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:326 .

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 397- 398.

هذا الخالق وقُدرته، ولقد اِتبع مصطفى صبري هذا المنهج في الاستدلال على وجود الله، وسمّاه تارة (دليل العلة الغائية) اِتّباعًا للفلاسفة الغربيين في ذلك وتارة ب(دليل الحكمة ودليل نِظام العالم) اِتّباعًا للمُتكلِّمين[1].

ولقد امتدح مصطفى صبري هذا المنهج ويرى أنه أفضل الأدلة على تقرير وجود الله تعالى حيث يقول: "وقد اِعتنى القرآن الكريم به [أي ما يسميه الفلاسفة العِلّة الغائية] أكثر من غيره حتّى أمكنت تسميته بدليل القرآن لأنّ كثيرا من آياته ولا نُحصيها هنا لكثرتها طافح به وهو أثرى الأدلّة وأوسعها وأكثرها اِستعدادًا لنُصرة المُستدِل وخذلان المنكر وأوفقها لأمزجة العصريين"[2].

ب- منهج الفلاسفة والمتكلِّمين

اِتَّبع مصطفى صبري في ذلك مسلكي الحدوث والإمكان وسلك في تقرير الأوّل مسلكًا وسطًا بين الأسلوب الكلامي القديم والأسلوب الغربي الحديث[3].

حيث يقول: " إنّا نرى في العالم حادثات وتقلُّبات حتّى إنّ وُجودنا نحن من جملة تلك الحادثات، ولابدّ لكلِّ حادث من عِلّة، وهذه العلّة إمّا أن تكون حادثة المعلول أو قديمة واجبة، فعلى الشقّ الثاني يثبُت المطلوب أعني وجود الواجب الذي يُكنّى به الله، وعلى الشقّ الأوّل يلزَم أن تكو هذه العِلّة القريبة المُتَّصلة بالمعلول مستندة إلى عِلّة أخرى بعيدة هي عِلّة العِلّة، فإن كانت هذه البعيدة قديمة واجبة ثبت المطلوب في الرحلة الثانية، وإن كانت ممكنة احتاجت إلى عِلّة أخرى أبعد من الثانية التي هي عِلّة العلّة، وهكذا دواليك إلى أن تتسلسل علل الحادثات الحادثة إلى غير هاية فيلزم التسلسُل المُحال أو ينقطع التسلسل في عِلّة تكون قديمة واجبة ويثبت المطلوب[4].

لقد قرّر مصطفى صبري في مسلك الإمكان أنّ الموجود نوعان:

1- المُمكِن: فهو جميع الكائنات المعبّر عنها بالعالَم، فوجودها أو عدمها سواء.

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:329.

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 343.

[3] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:332.

[4] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 170-174.

2- الواجب: وهو الله تعالى، وهو ضروري وجوده واستحالة عدمه، فهو موجود بنفسه أزلي.

ج- منهج خاص به

اِتَّبع مصطفى صبري إضافة إلى ماسبق منهجًا خاصًا به، حيث ابتكر ثلاثة أدلّة عقلية لتقرير وجود الله، وللرد على مُنكري وُجوده[1]:

الأوّل: أنّه استدلّ من وجود الكائنات المحسوسة في الخارج ومن حصول صوُرها في الذهن على وُجود الله. فهو يرى أنّ لتلك المحسوسات دلالتين على وجود الله:

1- دلالتها على وُجوده بِصُورها الذهنية الحاصلة عند الإحساس بها مع عدم السبيل إلى حُصول تلك الصور لولا وُجود الله الذي صوَّرها.

2- دلالتها على وجوده بأعيانها الموجودة في الخارج، وهذه الدلالة تقع بعد ثبوت وُجودها في الخارج[2].

وقد استنبط الشيخ هذا الدليل من القاعدة المُسلّمة عند عُلماء الغرب المادّيين القائلة بأن العلم لا يعتمد إلّا بالمحسوس[3].

الثاني: أنّه استدل من الإدراك الشعور الذي يَجِده كلُّ إنسان في نفسه على وُجود الله، ذلك أنّ هذا الإدراك أو الشُعور لا يحصُل للإنسان مِن تِلقاء نفسه، لأن الإنسان يُدرك ولكنَّه لا يعلم كيفية ذلك الإدراك بنفسه، ولأنّه لو كان هو الذي أعطى نفسه العقل والفهم لاستطاع أن يزيد فيهما ماشاء ولجعل نفسه مِن أعقل النّاس وأفهمهم[4].

الثالث: أنّه استدلّ من وُجود الإرادة في الإنسان على وُجود الله، ذلك أنّ صِفة الإرادة التي يمتاز بها الإنسان حتّى على الملائكة من أجلّي الأدلّة على وُجود الله تعالى الذي منح عبده تلك الصفة، إذ الإرادة لا تحصُل للإِنسان إلّا من ذي إرادة[5].

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:334.

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص:89.

[3] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:334.

[4] المرجع نفسه، ص: 336.

[5] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج3، ص: 63.

ثانيًا: مُناقشة أساس مذهب الإلحاد

لقد ناقش مصطفى صبري الملاحدة مناقشات عديدة عمِل على هدم الأسس التي يبنون عليها إلحادهم، ويُمكن تحديد ذلك في ما يلي:

1- إثبات ضُعف الدليل الحِسّي وقُوَّة الدليل العقلي

لقد عُنِيَ مصطفى صبري كثيرا على طول مناقشته الملاحدة بالموازنة بين الدليل العقلي والدليل الحسي التجريبي، وركّز بكُلِّ قُوَّة على إثبات تفوُّق الأوّل على الثاني، وعلى إيضاح أنّ المطالب الثَّابتة بالأوّل أعلى درجة وأغلى قيمة مِن المطالب الثابتة بالثاني[1].

يقول الشيخ: " ومما يختلِف العقل والحس ويدلُّ على قُوَّة الأوّل وضُعف الثاني أن المحسوس القوي يُفسد الحس فيضرُّ الضوء الشديد بالبصر والصوت الشديد بالسمع؛ وأيضًا فإنّ الحِسّ لا يُدرك المحسوس الضعيف بعد إدراك المحسوس القويّ، فمن نظر إلى الشمس لا يرى على إثره شيئًا أمامه، بخِلاف العقل فإنّ اشتغاله بالمعقولات القويّة والأمور المُجردة لا يُضعِفه بل يُقَوّيه، ثمّ إنّ الحواس قد تُخطئ فيُصحِّح العقل أغلاطها ومع ذلك فهي تُصِرُّ على أخطائها كرؤية القمر أكبر من النّجوم وكرؤية راكب البحر أنّ السّاحل سائر[2].

2- إثبات أنّ العقل نصير الدّين وحليفُه

لقد سبق أن الملاحدة فضّلوا الدّليل التجريبي على الدّليل العقلي وادّعوا عدم كِفايته في إثبات المسائل إثباتًا عِلميًّا وهنا دعوا مُناوأة العقل للدّين من أجل ألا يوجد سند للدّين من العقل وقد أبطل الشيخ هذا الإدعاء وأثبت عكس ما يقوله الملاحدة فأثبت أن العقل نصير الدّين وحليفه، وأقام الأدلّة العقلية التي تدلُّ على وُجود الله عز وجل ، وأنَّ هذا الأمر مِن بداهة العُقول، وبيّن الشيخ أن الملاحدة الغربين عندما قالوا بمُناوأة العقل للدّين أرادوا أن الدِّين فوق العقل، وهذه دعوى لا تنال من كرامة العقل وإنّما اِستهانة بالدّين الّذي لا يقبلُه العقل[3].

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:343-344.

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 338.

[3] سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 102.

3- نفي حصر العلم في العلم المادّي الحديث وتسمِيته بالعلم المثبت

يقول الشيخ: " من الخطأ الفاحش قصر امتياز الإثبات العلمي على المسائل الثّايتة بالتجربة لأن طريق الإثبات العلم لا ينحصر في التجربة والمُشاهدة، وحسب الإنسان عقلُه لَيَحْكُم عند أوّل ما سمع هذا الحديث القائل بانّ المُثبت إثباتا عِلميًّا ينحصِرُ فيما يكون ثابتًا بالتجربة الحِسّية، بأنّ هذا حديث الجهل لا حديث العلم لأنّ فيه حطًّا من كرامة العقل بإسقاط الاستدلال العقلي مِن حيِّز الأهمية وقصر الأهمية على التجربة الحِسِّية فلا يقول به إلّا أُناس عقولهم في أعيُنهم وليس لهم وسائط الإدراك غير الحواس[1].

وكذلك ناقش الشيخ تسمية هذا العلم بالعلم المُثبت وبيّن مااشتمل عليه من المغالطات فيقول: "رأس البليَّة ورأس المُغالاة والشطط في هذا الزّمان تسمية العلوم المبنيّة على التجارب الماديّة باسم العلم المُثبَت الموهم لتنزيل غيرها من العلوم منزلة غير المُثبت، فإن لم يكن في هذه التّسمِية غرضٌ مخصوص خادع فلعلّ وجهها أنّ العلم الطبيعي الذي اعتنى منذ عهد باكون[2] أن لا يبني أحكامه إلّا على تجارب قطعيّة لُقِّب بالعلم المُثبت بعد ان لم يكُن هو نفسه في أزمنته المتقدِّمة جديرًا بهذا الوصف؛ فعلى هذا التّقدير فقط تصِحُّ لهُ هذه التسمية لِكَونها لم يقصد بها التعريض والإستهانة بسائر العلوم التي لم تكُن مَنزلتها في القوَّة والمَتانة دون العِلم الطبيعي، بل يوجد فيها ما يفُوقهُ"[3].

ثالثا: تفنيد حجج الملاحدة وإبطال شُبُهاتهم

أ- تفنيد حجج الملاحدة

1- أنّهم بحثوا عن الفاعل المُوجد للعالم الذي يُسميه المؤمنون "الله" فلم يجدوه.

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الحجة وأبطل الإحتجاج بها على النحو الآتي:

---

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 312-313.

[2] **باكون**: هو روجر باكون، راهب إنجليزي ، لقب بالفقيه الرائع، ولد في جوار إلشستر (سومرست) حوالي عام 1214م، وتوفي في أكسفورد في 11 حزيران 1294م. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006، ص: 224).

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 304.

- بيان الفرق بين عدم رؤية الشيئ، وعدم وجوده، وذلك لأن الشيء يُمكن أن لا يُرى ولكن آثاره علامات مُضيئة تدلُّ على وُجوده وهذا ما يَنطبقُ على الخالق سبحان وتعالى، وفي ذلك يقول مصطفى صبري: "وأمّا أنّ الملاحدة المادّيين لم يجدوا موجد الكائنات و لم يروه، فعدم وجدان الشيئ وعدم رؤيته لا يدل على عدم وُجوده في نفس الأمر، فيُحتمل كل الإحتمال أنّه موجود لكنّهم لم يجدوه لتقصيرهم في البحث، حيث بحثوا عنه بِحواسهم و لم يبحثوا بعُقولهم، فلو بحثوا بها لما تجرَّؤوا على إنكاروُجوده، وكيف يُنكر العقل أو العلم وجود الله بِحجة أنّه لا يُرى في حين أن العقل والعلم لا يُريان، وإنّما يُعرفان بآثارهما، فإذا نظرنا إلى الآثار نجد آثار الله تملأ العالم، وبداهة العقل تقضي بِوُجود مُوجد هذه الآثار وفاعل هذه الأفعال، ولا تقضي بِعدم وُجود الفاعل مهما لم يجده الباحثون"[1].
- أنّهم بقولهم ذلك لابد لهم أن يحكموا بِعدم وُجود الفاعل للفعل ويحكُموا بِوُقوع الفِعل من غير فاعل، وذلك يقول الشيخ: "يلزم الملاحدة المادّيين والطبيعيين أن يحكُموا بِعدم وُجود الفاعل لفعل القتل الذي لم يهتدِ له الباحثون فيه إلى القاتل ويدعوا وُقوع ذلك القتل بِنَفسه من غير فاعل، ولئلا يتَّسع المجال لتشويش باحتمال وُقوع ذلك القتل اِنتِحارًا مِن المقتول[2].

2- أنّهم أنكروا وجود الله تعالى لأن العلم المادِّي الحديث يُنكر وجوده وذلك لعدم القدرة على إثباته بالتجربة الحِسّية.

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الحجة وأبطل الإحتجاج بها على النحو الآتي:

- بيّن أنّ وُجود الله لا يحتاج بالأدلّة التجريبية أو الحسية لأن وُجود الله قائمٌ على الإستدلال بالأدلّة العقلية والتي هي أفضل وأقوى من الأدلة التجريبية أو الحِسّية.
- أكّد الشيخ أنّ الأدلّة القائمة على التجربة لا تنفي وُجود الله، بل على العكس فهي تدل على وجود الله-عز وجل- والشيخ جعل دليل- نظام العالم، أو العلّة الغائية- مبني على أساس التجارب الكثيرة المُستفيضة التي لا تبلغ أية تجربة في الدّنيا مَبلغها في إفادة اليقين بل كل تجربة

[1] المصدر السابق، ج2، ص: 78.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص: 79.

علمية تتضمن دليلا تجريبيًّا لنظام العالم الدّال على وُجود الله، فضلًا عن أن دليل وُجود الله لا ينحصر في التجربة[1].

3– أنّهم أنكروا وُجود الله تعالى بنظرية داروين في النشوء والإرتقاء.

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الحجة وأبطل الإحتجاج بها على النحو الآتي:

- نَفيْ كون النظريّة مبنية على التجربة الحسّية، وإثبات أنّها على الفرض والتخمين الخاطئ، ذلك أنّ الملاحدة تمسّكوا في هذه النظرية باستنباطاتهم الخاطئة على ظنٍّ أنّهم مُتَمسِّكون بالتجربة التي لا تُخطئ، فاستدلّوا من مُجرَّد التشابه بين مستحاثات بعض الحيوانات المُكتشفة في طبقات الأرض على أنّها مُنحدة من أصل واحد، مع أنّ مُجرد التشابه والتقارب في أشكال الأعضاء لا يقتضي كونها متوَلّدة من أصل واحد، ولا يدلُّ دلالة قطعية على الإنتقال والإستحالة من أحد النوعين إلى الآخر[2]. وفي ذلك يقول الشيخ: "إنّ تولّد الأنواع بعضها من بعض لا يكون في مُتناول الحس والمُعاينة، وليست مُعاينة المُستحاثات المُستخرجة من تحت الأرض المتوسِّطة بين نوعين موجودين من الحيوان مُعاينة التوالد ولا مُعَاينة كونها واسطة في التوالد لإحتمال كون كل من الواسطة وطرفيها نوعًا مُستقِلًّا مخلوقًا برأسه، وليس من حق المُجرِّب أن ينتقل من التشابه المحسوس إلى التوالد غير المحسوس مهما وُجدت الوسائط المُقرِّبة بين المُتشابهين فإن انتقل كان خارجًا عن حُدود التجربة التي يدّعون الوُقوف عنها"[3].
- إبطال إسناد نُشوء أنواع الكائنات وتوالدها وارتقائها إلى النوع الأقوى والأكمل إلى المادة وقوانينها الطبيعية وفي ذلك يقول الشيخ: "إنّ توجيه الملاحدة الطبيعيين بكون الأنواع تترقّى بفعل التأثيرات الخارجية ليس فيه إيضاح سبب إيجاد أصل الحياة، وليس في هذا التوجيه أيضًا سبب الإدراك الذي هو الرُقي المادّي به، إذ لا يتولّد الإدراك من عديم الإدراك، كما لا تتولد الحياة من الجماد، ولا يرتقي الإدراك بالجهاد المادي، أمّا الإرتقاء في الإنسان الحديث بالنسبة إلى قديمه فليس منشؤه التطور الطبيعي، بل منشؤه إزدياد العلوم بِتلاحُق الأفكار، وقد يكون

---

[1] سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 110.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:354.

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 283.

الإصطدام بالتأثيرات الخارجية سببًا لازدياد العلوم بمعنى كونه دافعًا إلى تحرّي وسائل المُقاومة، فمثل هذه الزيادات زيادة مقصودة لا طبيعية حتّى تدل على ما يُسمونه الإنتخاب الطبيعي"[1].

ب- تفنيد شُبُهاتِ الملاحدة

1- أن المادة والقوّة الملازمة لها قديمتان أزليتان وأنهما هما اللّتان أوجدتا هذا العالم المحسوس.

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الشبهة وأبطلها على النحو الآتي:

- أنكر على الملاحدة القول بقدم المادة والقوّة المتلازمة لها، وأثبت أنّهما حادثتان محتاجتان إلى إيجاد مُوجد لأن كل ما سوى الله فهُو حادث، ودعّم ذلك بإيراد أقوال بعض العلماء الطبيعيين الإلهيين الدالة على نقض العلم الطبيعي نفسه لدعوى أزلية المادة[2].
- نفى قُدرة المادة على إيجاد العالم وذلك:
- لأنّ المادة لا تُفارقها حاجتها إلى الصورة التي لا تكون المادة موجودة بالفعل إلا بها، فلا توجد في الدنيا مادة مُجرّدة عن الصورة، كما أن الصورة لا تُفارقها حاجتها إلى المادة فكل منهما مُحتاج إلى الآخر لِيكون موجودًا[3].
- لأنّه لا يُمكن أن يستند إليها أي صنع وأي فعل فضلًا أن يستند إليها إيجاد هذا الكون العظيم وما في من عوالم.
- لأنّها جامدة هامدة تنقصها الأوصاف السامية التي لابد أن يتّصف بها صانع هذه الكائنات العظيمة كالحياة والقدرة والعلم والإرادة والحكمة[4].
- نفى قُدرة القوّة[5] الملازمة للمادة على أن تكون المُوجد الناظم لهذا العالم وذلك لسببين:

الأوّل: أنّ تلك القوة إنّما هي آثار الفاعل في المادة أو نفس الأفعال التي تضطرُّنا إلى أن نُنشد فاعلها ونفس النظام الذي يُحوجنا إلى أن ننشد الناظم.

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص: 284.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص:357.

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 86.

[4] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 357-358.

[5] وهي عديدة مثل: الثّقل والجاذبية، الحرارة، الكهرباء، الضياء، القوّة الميكانيكية.(ينظر: مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، مرجع سابق،ج2، ص: 81).

الثاني: أنّها كالمادة عمياء جامدة تفتقر إلى الحياة والعلم والقدرة والإرادة والحكمة وما إلى ذلك من الأوصاف اللاّزمة للمُوجد والناظم[1].

- أثبت أن تمسكهم بالحركات الميكانيكية في تفسير ما يحدث في العالم وربط ذلك بالمادة باطل وذلك لأمرين:

الأوّل: لأنّ المادة لاتتحرّك بدافع من نفسها لكون العطالة من أخص أوصافها ولأن العقل لا يقبل حركة بلا مُحرّك، والفطرة لا تقبل فعلا من غير فاعل.

الثاني: أنّ تمثيلهم حركة العالم من غير مثحرّك ولا إرادة منه بحركة الماكينات العادية التي يصنَعها ويُحرّكها تمثيل فاسد، لأن الحركة الميكانيكية للماكينات التي يصنعها الإنسان ليست حركة بلا مُحرِّك كما يظُنون، بل هي حركة لها مبدأ ومنشأ لِكونها مِن صُنع الإنسان وأثر إرادته، فهي مستندة إلى صانع الماكينة ثمّ إلى مُديرِها ومُحرِّكها إن كان المُدير المُحرِّك غير الصانع[2].

2- إسناد ما يحصل في هذا العالم من نظم وإتقان إلى الطبيعة، وأنّها هي التي أوجدت هذا العالم على هذا النظام المُتقن المُحكم.

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الشبهة وأبطلها على النحو الآتي:

- إثبات أن إسناد إيجاد الكائنات وتنظيمها إلى الطبيعة معناه أنّه لا فاعل ولا منظِّم لها وأنّها مصنوعة ومُنتظِمة من نفسها، لأنّه ليس هناك فاعل مُوجد يعمل الأعمال الجارية في الكون مسمّى بالطبيعة، كما أثبت أن هذا الإسناد فيه تناقض ظاهر حاصل من بناء الموجود على المعدوم الصريح، فضلاً على أنَّ الطبيعة لا تصلح أن تكون فاعلاً موجِدًا، لأنّ الخلق والإيجاد يتوقف على العلم والحكمة والتبير، والطبيعة تفتقر إلى تلك الأوصاف السامية[3].
- نبّه أن إسناد هذا العالم إلى نفسه الذي قال به الملاحدة زاعمين أنّه أولى من إسناده إلى فاعل مجهول الوجود، بديهية البطلان لأنّ وُجود كل شيء في العالم بنفسه من غير موجد يستلزم كون كل شيئ واجب الوجود، إذ لو وُجد مع جواز عدم وُجوده لزم الرُّجحان من غير مرجح

[1] المرجع السابق، ج2، ص: 358-359.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص: 359.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص: 363-364.

الذي يتضمن التناقض وإن وُجد و لم يجز عدم وُجوده لزم أن يكون وُجوده واجبًا وهو يتنافى كل التنافي مع مذهب المصادفة التي قالوا به[1].

3- أنّ الكون إنّما وُجد بمحض المصادفة العمياء، وأن النظام المشهود في العالم ومافيه من كمال الدقّة والإحكام إنّما هو نظام إتّفاقي محض غير ناشئ من تدبير مدبّر.

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الشبهة وأبطلها على النحو الآتي:

- بيّن أن هذه الشبهة باطلة ظاهرة البُطلان، ولا تصدُر من عاقل، حيث يقول: " وهذه النظرية أعني نظرية إحالة التنظيم على الفوضى وترقبه من مُصادفات الأشياء ومصادماتها لا يجوز أن تصدُر من عاقل، لأنّ فيه إلغاء الفرق بين التنظيم وعدم التنظيموجعل النظام والكمال المترتّبين على التنظيم والتدبير يترتبان على عدم التنظيم والتدبير أيضًا أعني جعل الشيء مُساويًا لضدّه في ترتُّب أثر كل منهما على الآخر، فإذا كان عدم التنظيم ينتج النّظام والكمال كما ينتجها التنظيم فأي شيء هو الذي تكون نتيجته عدم النّظام والكمال؟ أجل قد يثمكن أن يتولد الإنتظام في الدنيا مرّة أو مرّتين أو مرّات معدودة، من المصادفات الفوضوية على طريق رمية من غير رام، أمّا اِطِّراد هذا الإنتظام التصادفي ودوامه على طول دوام الدّنيا مع ارتقائه لحد أن يكون كل كمال حاصل في العالم نتيجة المُصادفات والتخبُّطات المُتصادمة فهذا ما تمجُّه بداهة العقول"[2].
- ذكر الكثير من الأمثلة التي تدل على أن خلق الكائنات الحيّة ترتبط اِرتباطًا وثيقًا بوجود قصدٍ وعلم وحكمة في خلقها.
- ذكر بعض المُحالات العقلية التي تلزم الملاحدة القائلين بالمُصادفة والمُدّعين أنّ الكمال في الكائنات حاصل من مصادمات الفوضى، منها على سبيل المثال: أنّه يلزمهم أن تكون أقوالهم وأفعالهم وجميع تصرفاتهم صادرة منهم عن طريق المُصادفة والخبط كما هوالحال في غيرهم من أجزاء العالم، لأنّهم هم أنفُسهم من أجزاء العالم وأفعالهم من شؤونه فلا يكون الأكل منهم مثلاً لدفع أذى الجوع، والشرب لدفع أذى الظمأ[3].

---

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج2، ص: 385.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص: 399-400.

[3] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 360-361.

المطلب الثاني: قضية إنكار النبوة والمعجزات الكونية

الفرع الأول: إنكار النبوّة

النبيّ عند مصطفى صبري هو ذلك الإنسان الذي بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أُوحي إليه[1]، ولقد اِهتم الشيخ بمسألة النبوّة كثيرًا إلى حد أنّه رأى إثبات وُجود أنبياء الله أحد الواجبين[2] الرئيسيين اللّذين أخذ على عاتقه القيام بهما في كتابه الكبير "موقف العقل" كمّا عدّ النُبُوّة من المسائل الاِعتقادية الرّئيسية للمُؤمن الذي هو في حاجة ماسّة إلى تخليصها من شر دُعاة الإلحاد الذين هم أشد المبشّرين في هذا الزّمان خطرًا على الإسلام لِكونهم يفعلون باسم العلم والتقدّم العلمي[3].

كان موقف الشيخ من دعوى إنكار النُبُوّة حاسِمًا، حيث عمل على إبطال هذه الدعوى واعتمد في ذلك على مايلي:

1- إثباتُ وُجود الأنبياء

بيّن الشيخ أنّ إثبات وُجود الأنبياء مُتوقّفٌ على إثبات وُجود الله تعالى من أجل الاِقناع والاِقتناع حيث يقول: "لاريب أن إثبات وُجود الله أهم وأقدم من إثبات وجود رسول الله، حيث لا معنى لِوُجودهم على تقدير عدم وُجوده أو على الأقل على تقدير الشكّ في وُجوده، فضلاً على أن دليل وُجوده أقوى وأظهر من دليل وُجودهم.... على أنّ المسألة الأولى التي هي إثبات وُجود الله نحن مُحتاجون إليها أيضًا في الاِقناع والاِقتناع بوُجود رُسُلُ الله"[4].

لقد أقام الشيخ ثلاثة أدلّة عل إثبات وُجود الأنبياء وهي كما يلي:

- استدل من ثبوت وُجود الله من كونه الخالق المُتصرِّفُ في الخلق، على ضرورة وُجود الرّسل، حيث قال: "فإذا كان الله موجودًا وهو خالِقنا وخالق كلِّ شيئ، كان أوّل واجب الإنسان التفكير في أنّ خالقه لا يترُكه سدى لاسيَّما وقد خلقه مُمتازًا على سائر خلقه بالعقل

---

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 41.

[2] الواجب الآخر هو إثبات وُجود الله تعالى. (ينظر: مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مرجع سابق، ص: 386).

[3] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 386.

[4] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص: 114-115.

والإرادة، فيُلائمُ عقله الذي به وجد ربّه واستدلّ على وُجوده كلّ المُلائمة أن تكون عليه واجبات تجاه من خلقه، لكن العقل لا يستطيع تعيين هذه الواجبات بالضّبط والتفصيل، لا عقل أحد يتفكّر في نفسه ولا عقول العلماء والحُكماء الذين يختلف آراؤهم ومذاهبهم في تعيين الحق والباطل والخير والشرّ، فلا يُدرى أيُّها يُوافِق مرضاة الله من تلك الآراء والمذاهب المُختلفة، ولا يُصدّق العقل أن يكون الحق والصواب في رأي الكثرة لأن هذه طريقة برلمانية لا تُغني من الحق شيئا، ألا يُرى أنّ التحقيق والترجيح في المسائل العلمية لا يُبنى على عدد الأصوات والآراء، ولو استقرّ القرار على أن يعمل كلّ إنسان بما يؤدي إليه وفكره واجتهاده كان فوضى، ففي وسط هذه الحيرة والتردُّد يتحسّ الإنسان من صميم قلبه بالحاجة إلى رسول من عند ربّه يُسدِّد خُطاه ويُبلّغه أوامره ونواهيه[1].

- استدل الشيخ على إثبات وُجود الأنبياء عن طريق اليوم الآخر، حيث استنبط من لزوم النشأة الثانية – اليوم الآخر– دليلاً على ضرورة وُجود رُسل الله حيث قال: " فلئن كان النّاس مسؤولين في النّشأة الثانية عن أعمالهم في الدُّنيا كما هُو المجزوم عندنا ... فوُجود رسل الله الذين يُوثق في رسالاتهم ووجود المُعجزات المعرِّفة لأشخاصهم، يكون مُقتضى العدل الإلهي قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، فإذا كان الله موجودًا وجعل للإنسان حياة أُخرى يُحاسبُه فيها على أعماله في الحياة الأولى، كان إرسال الرسل إليهم كالضّرورة إن لم يكن ضرُوريًّا ضرورة وُجود الله لِوُجود العالم[2].

- استدل على وُجود الأنبياء بِوُجود المُعجزات الظاهرة والخارقة لسنّة الله في الكون التي أجراها الله على أيديهم، حيث يقول: " فهذا النبيّ لا يكون نبيّ الله ورسوله رسميًّا كرسول الملك الحامل لِرَمزه، لأنّ رمز الله ووِسامه على رسوله هو مُعجزته الخارقة لسُنن الكون الطبيعية والتي

[1] المصدرالسابق، ج:4، ص: 160.

[2] المصدر نفسه، ج4، ص: 163-164.

لا توجد عند النبيّ الطبيعي ولا عند صاحب النُبُوَّة المُكتسبة، وكل ماعدا المُعجزة ليس برمز للنبيّ الحقيقي مهما أعظمه الكُتّاب العصريون[1].

2- بيان موقف الفلاسفة من النبوّة

لم يتصدّى الفلاسفة الغربيين مع كونهم مسيحيين بالنظر في النبوة ولم يعتبروها مطلبًا من المطالب الفلسفية، كما اعتبروا الألوهية وأفاضوا في وُجود الله فأثبته من أثبته ونفاه من نفى، ولم يتكلموا في وُجود النبيّ وعدم وُجود النبيّ كلمة في حين أنّهم تكلموا أيضًا في الحياة الآخرة، وجعلوها مطلبا من المطالب ويُرجع الشيخ سبب إهمالهم هذا إلى مسيحيّتهم المُحرّفة التي هي دينهم الرّسمي، ذلك أنّ النبوّة في هذا الدّين قد أُخرجت عن ماهيتها الأصلية ولُبِست بالألوهية، فنبُوّة المسيح عليه السلام عندهم ما هي إلاّ نوع من الألوهية التي لا يقبلها العلم للبشر ويرفُضُها العقل ويُمجُّها، فإمّا أن يتخلّى الإنسان عن عقله أو الإعتراف بهذه النُبُوّة، وقد تخلىّ المسيحيون عن عُقولهم فعلا[2].

3- إيضاح موقف منكري النبوّة والردّ عليهم

أ- إضاح موقف مُنكري النُبُوّة

لقد ركّز الشيخ بِشكل خاص على مُناقشة المدرسة العقلية الحديثة وقد تتبع أقوالهم في مسألة النُبوّة ولاسيّما نُبوَّته صلى الله عليه وسلم وتفنيدها على النحو الآتي:

الأوّل: بيّن الشيخ في بداية الأمر حقيقة موقفهم من النبوّة فقال: " أنّك تراهم يسعون أن يُقيموا مقام نبوة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبقرية يجعلونها موضع عناياتهم، ويكتبون عنها بدلا من نُبوته، تفضيلاً لمناقبه التي يتفق على تعظيمها من يدين برسالته الدينية ومن لا يدين له برسالة، على التي ينفرد بتعظيمها المسلمون[3].

---

[1] المصدر السابق، ج4، ص: 161.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص:19.

[3] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، (د.ط)، القاهرة، (د.ن)، 1361هـ، ص: 7.

الثاني: بيّن الشيخ دلائل تدلُّ على أنهم يُنْكِرون النبُوَّة، ومن ذلك إنكارهم للمُعجزات، لأنَّ بينهما تلازمًا قويًّا إلى حدّ أنّ من يُنكر المُعجزات، فإنه يلزمه، إنكار النُبُوّة أيضًا، وذلك لِسببين هما:

- كون المُعجزة علامة النُبوَّة فمن يُنكِرُها فلابدّ أن يُنكر النبُوّة.
- أنّ سبب إنكار المُعجزة هو كونُها من الأمور الغيبية المُخالفة لسُنّة الله في الكون، والنُبُوَّة الحقيقية كالمُعجزة تمامًا في كونها من الأمور الغيبية المُخالفة لِسُنَّة الله في الكون[1].

الثالث: بيّن أنّ فكرهم في إنكار النُبُوّة يعود إلى أمرين و هما:

- تمسّكهم بالعلم المادِّي الحديث حيث يقول الشيخ: "وأصل المسألة أنّ للمُتعلّمين العصرّيين من الكتَّاب عقيدة راسخة أرسخها في أذهانهم العلم الحديث المادِّي الّذي يُؤمنون به فوق إيمانهم بِكتاب الله وسُنَّة رسوله، وهي إنكار الأمور الغيبية مثل المُعجزات والنُبُوَّة"[2].
- أنّهم يعتمدون على كتابات المُستشرقين وأقوالهم عند تأليفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتركون المصادر الأصلية والذي جعلهم يصفونه بقائد سياسي أو مُصلح ديني ويُهمِلون جانب نُبُوَّته، حيث يقول الشيخ: " وهُم يعتمدون في ذلك على أقوال المُستشرقين والمؤرخين من أهل الغرب التي لا تتفق مع تلك النصوص، فتلجئ أصحاب الدّين الجديد إلى الإنصراف عمّا نطق القُرآن بشأنها، والبحث عن طريق التأويل المُتمشي مع أقوال الغربيين...."[3].

الرابع: بيّن أن سبب إنكارهم للنُبُوَّة أنهم لم يقدُروا الله حقَّ قدره، حيث يقول الشيخ: "ومن العجب أنّ مُنكري المُعجزات أو مُنكري المُعجزات والنُبُوَّة ممّا يُنكرونها على ظنٍّ أنّها غير ممكنة، وهم من غفلتهم يقيسون الإمكان والإستحالة بِمقياس قُدرة الإنسان، وينسون قُدرة الله التي ليس ببعيد عنها أن تهدم السماوات والأرض وتُنشئها من جديد"[4].

الخامس: بيّن الشيخ منشأ سعيهم لجعل النبوّة مُكتسبة حيث قال:"ومنشأ السعي لجعل النُبُوَّة مُكتسبة من الساعين عدمُ الإيمان بالنُبُوة الحقيقية (حيث استكثروا) تلك المرتبة للبشر، حتّى

---

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 397.

[2] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص: 24.

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص: 350.

[4] المصدر نفسه، ج4، ص: 26-27.

رموا عقيدة النُبوة الحقيقية بالعقيدة الوثنية.... فيُريد دُعاة النُبُوّة المُكتسبة أن يجعلوا النُبُوّة مِلكًا مُشاعًا بين المُجتهدين في اِستجماع الأوصاف اللاَّزمة لإرشاد النّاس واقتيادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحُهم"[1].

ب- الردِّ عليهم

بالنظر في أقوال المدرسة العقلية الحديثة في مسألة النُبُوّة نجد أنّها تحتوي على ثلاثة دعاوي والتي ردّ عنها الشيخ كما يلي:

الدعوى الأولى: أنّ النُبُوّة ما هي إلا عبقرية، وبالتالي فالنبي هو إنسان عبقريٌّ

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الدعوى بكثير من الحجج أذكر منها:

أوّلا: بيّن الشيخ أنّ مترلة النُبُوَّة أعلى من مترلة العبقرية حيث قال: " إنّ النُبُوّة هي الشيء الذي يسْمُوا على العظمة وتَقصُر عن مَداه العبقريّة، وانظر عظمة النُبُوّة المتجلِّية في قوله تعالى:﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ ﴾ [الشعراء:٣-٤]. وقوله:﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٣٥ ﴾ [الأنعام:٣٥]، فهما أبلغ....في الدلالة على عظمة محمد صلى الله عليه وسلم في صدقه وإخلاصه لِكونهما يُصارحان بِتضوُّره في عجزه عن الإتيان بآية تُخضِعُ النّاس لِتصديق مدعاه عن نُبُوَّته التي لا مدعى لنفسه غيرها يمتاز به على اللذين أرسل إليهم"[2].

ثانيا: ذكر بأن القرآن إن كان مُعجزة، وكان أفضل وأعظم ما وصل إلينا من النبي صلى الله عليه وسلم فهو مُعجزة نُبُوّته لا مُعجزة عبقريّته، لأن العبقرية لا مُعجزة لها، وإن اللذين لجأوا إليها أرادوا أن يتخلّصوا من المُعجزات التي تدور مع النُبوّات[3].

---

[1] المصدر السابق، ج4، ص: 154.

[2] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص: 17-18.

[3] المصدر نفسه، ص: 18.

ثالثا: بيّن أنّه يؤدي إلى انهيار عقيدة كون أحاديث سيّدنا محمد أحاديث رسول الله، فليست السنّة المُطهّرة التي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي أقوال رسول الله الذي قال الله عنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٣-٤] ، بل اجتهادات شخصية من مُصلح ديني أو مُرشد روحي[1].

الدعوى الثانية: أنّ النُبُوّة صفة إنسانية مُكتسبة

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الدعوى بقوله: " فالنبيّ إنسان له اتصال خاص بالله تعالى فوق الاتصال الذي يحصُل لكلِّ عاقل عند تعقُّل ربّه بالنظر في أدلة الكون فيأتيه وحي منه ويكون ايحاؤه إليه فوق إلهام العلوم العالية للعلماء والمشروعات العظيمة للعُظماء، فهذه المرتبة الإنسانية هي التي لا تُكتسب وتمتاز بكونها فضلاً من الله خاصًّا لمن يصطفيه من عباده"[2].

وذكر الشيخ جملة من المحاذير المُترتّبة على كون النبوة مُكتسبة أذكر منها:

- يلزم على هذا التقدير أن لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيِّين، رغم كونه منصوصا عليه في القرآن الكريم، لأن باب الإكتساب يلزم أن يكون مفتوحًا لكُلِّ طالبٍ من أمّة محمد وغيرها.
- لو كانت نُبوّة سيّدنا محمد مُكتسبة كما يُريدون أي عبقرية وبُطولة مجرّدةٌ من الغيبيات كان صلى الله عليه وسلم- وحاشاه أن يكون- كاذبًا في إسناد القرآن إلى الله والكذب مهما تصور العقل العصري إئتلافه بالعبقريّة والبُطولة فالحقُّ كونه مُخِلاً بهما أو على الأقل مُخلاً بكمالهما كما أنه مُخِلٌّ بالنُبُوّة[3].

الدعوى الثالثة: أنّ النُبُوّة الحقيقية ليست بشرية لأن فيها عُنصرًا من الألوهية

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الدعوى بقوله: "هي عقلية قديمة جاهليّة كافحها القرآن في كثير من آياته كقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٩١]، ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان:

[1] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 405.

[2] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص: 147.

[3] المصدر نفسه، ص: 147-148.

٧].....فالرّسول لم يشُقّ بين المسلمين حين حدّثهم بأنّه بشر مثلهم، كما أنّه استباح الكذب عندما حدّثهم بأنّه نبيٌّ يأتيه وحيٌ من الله، والذين يتصوّرون المُنافاة بين الحالتين من الجاهلين القديمين والحديثين لم يكن خطأهم في أنّهم ما قدروا النبيّ حق قدره فحسب بل أصل أخطائهم أنّهم ماقدروا الله حقَّ قدره كما نبّه عليه القرآن الحكيم لأنّهم بإنكارهم النبُوّة المعروفة عند المُسلمين أنكروا قُدرة الله على إرسال الرسل وإنزال الكتب وانظر قول القرآن الحكيم أيضًا: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣] والله أذن لاتّصال الإنسان به بأن خلق فيه العقل والإدراك ..."[1].

الفرع الثاني: إنكار المُعجزات الكونية

تُعَدُّ المُعجزات من أهم الوسائل التي تجعل العباد يُؤمنون بصدق رسالة الرسل، فهي الحُجة الدّامغة، والبُرهان الصّادق ضِدّ كُلِّ الطّاعنين في صِدق من بعثهم ربُّ العالمين لِتبليغ شرعه، والإيمان بها؛ هُو إيمانٌ بالكتب والرسل؛ فهو بِذلك فرعٌ من أصول العقيدة الإسلامية، فمن آمن بالكتب والرُّسل لزِمَه الإيمان بالمُعجزات، وهذا ما أنكره أصحاب المدرسة العقلية الحديثة، الذي أصبح المنهج التجريبي عندهم أساس البحث العلمي، وقد أنكروها بِحُجّة مُخالفتها للعقل وقوانين الطّبيعة والعلم التجريبي الذي يبحث في المادّيات والمَحسوسات، وقد عمد الشيخ مصطفى صبري إلى عرض مواقف بعض شخصيات هذه المدرسة، والردِّ عليهم وهذا ما سأذكره إنشاء الله تعالى.

[1] المصدر السابق، ص: 146.

1- مواقف شخصيات المدرسة العقلية الحديثة في إنكار المُعجزات

أ- محمد عبده[1]

ذكر الشيخ مصطفى صبري أنّ محمد عبده هو أَوّلَ من أنكر الخوارق والمُعجزات الواردة في القرآن الكريم حسب مُعطيات العلم الحديث؛ حيث أنّه كان يُؤوِّل اِنفلاق البحر لسيّدنا موسى ومن معه ثمَّ غرق فرعون وجنوده فيه في قوله تعالى:﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الشعراء:٦٣-٦٧]، بأنّه الجزر والمدّ اللّذَيْن يحصُلان في البحر[2].

ب- رشيد رضا[3]

ذكر الشيخ مصطفى صبري أنّ رشيد رضا تلميذ محمد عبده أَوَّلَ الآية التي قال فيها الله تعالى:﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ [القمر:١].بأنّ الساعة اقتربت وظهر الحقّ، ثمّ أتى لتأويله بدليل من لسان العرب وهو قوله: "انشقَّ الصبح وشقَّ الصبح إذْ طلع وفي الحديث فلمّا شقَّ الفجران أُمرنا بإقامة الصلاة" وليس في اللسان انشقّ القمر وانشقت الشمس بمعنى طلعتا لأنّ انشقاق القمر والشمس عند طلوعهما غير معقول كمعقولية انشقاق الفجر والصبح عند طُلوعهما، وقد يُقال تنفَّس القمر أو الشمس[4].

---

[1] **محمد عبده**: (1266 - 1323هـ / 1849 - 1905م) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، من كتبه: "شرح نهج البلاغة"، "رسالة التوحيد"، "رسالة الواردات". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:6، ص:252).

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 172.

[3] **رشيد رضا**: (1282 - 1354هـ / 1865 - 1935م) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، من كتبه: "تفسير القرآن الكريم"، "نداء للجنس اللطيف"، "الوحي المحمدي". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:6، ص:126).

[4] المصدرنفسه، ج4، ص: 172.

ج- محمود شلتوت[1]

ذكر الشيخ مصطفى صبري أنّ محمود شلتوت عندما تعرّض لِمسألة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء الواردة في قوله تعالى:﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾[النساء: ١٥٨]. أنكرها بِحُجّة أنّ العلم الحديث لا يقبل إلا ما يُمكن إثباته بالتجارب الحسّية[2].

2- مواجهة الشيخ لِمُنكري المُعجزات

لقد واجه مُصطفى صبري مُنكري المُعجِزات على النحو الآتي:

أ- إثبات إمكانية المُعجزة

يَنطلق مُصطفى صبري من كون أنّ المسائل الإعتقادية الغيبيّة متكاملة ومتناسقة ومترابطة يُكَمِّلُ بعضها البعض، ولهذا فإنّ المؤمن بالله لابدّ له أن يؤمن بالأنبياء وما جاؤوا به وكذلك الإيمان بما أيّدهم الله تعالى من مُعجزات تُثبت صدقهم، حيث يقول الشيخ : "ولا شكّ أنّ الذي فطر السماوات والأرض لا يَصعُبُ عليه أن يُرسل إلى بني آدم الذين خلقهم أيضًا رسولاً منهم فيوحي إليه ما يشاء، وأن يُظهر على يدية خارقة من خوارق العادات كخلق ثُعبان من العصا، وهُو خالق العصا والثُّعبان وجميع العالم من عدم..."[3].

فالمُعجزة في ظهورها على يد الرّسول صلى الله عليه وسلم تستند إلى الله تعالى لا إلى الرسول عليه السلام نَفْسُه، لأن الله تعالى هو الذي يخلُق له الفعل لتأييد، والمعجزة من شروطها أن تكون من فعل الله تعالى وأنّها تخرق الكون فواضع قوانين الكون هو الوحيد الذي يستطيع خرقه وذلك بقدرته وإرادته وعلمه واختياره تعالى فيُظهرها متى شاء على أيدي رُسله عليهم

---

[1] **محمود شلتوت**: (1310 - 1383هـ / 1893 - 1963م) محمود شلتوت فقيه مفسر مصري، كان داعية إصلاح نير الفكرة، يقول بفتح باب الاجتهاد، من كتبه: "القرآن والمرأة"، "القرآن والقتال"، " هذا هو الإسلام".
(خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:7، ص:173).

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 176.

[3] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص: 27.

السلام لكي يُصدّقوهم، بدليل أنّ الذي أرسلهم أيّدهم بمعجزاته الخارقة لِقوانين الكون وهي من فعله لأنّ نقض قانونًا هو نفسه الذي وضعه[1].

ويذكر الشيخ أيضًا حاجة الأنبياء المّاسة للمُعجزات، ليستندوا إليها في دعوى نُبُوتهم، وفي دعوة النّاس إلى أن يثقوا بهدايتهم[2].

ب- الكشف عن أسباب إنكارهم للمُعجزات

- أكّد الشيخ أن السبب الأوّل الذي جعل المدرسة العقلية الحديثة تُنكر الغيبيات هو تَمسُّكهم بالعلم المادّي الحديث القائم على التجربة والمُشاهدة، وفي ذلك يقول الشيخ: "وأصل المسألة أنّ للمُتعلّمين العصريّين من الكتّاب عقيدة راسخة أرسخها في أذهانهم العلم الحديث المادّي الذي يؤمنون به فوق إيمانهم بكتاب الله وسنّة رسوله، وهي إنكار الأمور الغيبية مثل المُعجزات والنبُوّة..."[3].
- بيّن الشيخ منشأ الخطأ في المُشكّكين بالمُعجزات الظاهرة بقوله: "منشأ الخطأ مِن الّذين يشُكّون في صِحّة وُقوع المُعجزات الظّاهرة على أيدي الأنبياء؛ حين يشكّو في صحة الوقائع التاريخية المشهورة، أنّهم يخلطون مسالة وُقوع المُعجزات في أذهانهم بِمسألة إمكانها الذي يحتاجون في إلى دليل آخر غير دليل الوُقوع، فلابد أن تكون أدلّة الوُقوع التاريخية متأثّرة عندهم من دليل الإمكان الّذي لا يملِكوه في مسألة المُعجزات، بِخلاف الوقائع التّاريخية التي تتّفق مع سُنّة الكون وتُعدُّ عادية بالنسبة إلى المُعجزات، فيُصدِّقونها مِن غير حاجة لهم فيها إلى معرفة دليل الإمكان"[4].
- بين أنّهم مُقلّدون للغرب الذين يبنون إنكارهم للمُعجزات بناءً على استحالتها عقلاً، وينفونها ويدّعون استحالتها لِعدم اعترافهم بوُجود الله وبِوُجود أنبيائه[5].

---

[1] محمد عمارة و العربي بن الشيخ، "المعجزة الكونية ودلالتها على الرسالة عند مصطفى صبري"، مجلة الشهاب، عدد: 2، (1439هـ-2018م)، معهد العلوم الإسلامية،جامعة الوادي، ص: 190.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 433.

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 23.

[4] المصدر نفسه، ج4، (هامش) ص: 21.

[5] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص: 93.

- بيّن سبب رفضهم للقرآن والسنّة فقال: "أمّا السُنَّة فيكون طريقُهم إلى رفضها أنّهم يستسهلون على أنفُسهم المُخالفة لمَرويات كُتب الحديث فيما لا يُوافق أهواءهم طعنًا في ثُبوت تلك الروايات عن رسول الله بِحُجّة أن أهل النّقد من علماء الحديث وجدوا فيها أحاديث موضوعة، فيرتقي العصريّون من غير علماء الحديث بِهذه المرتبة من النقد الخاص لِبعض الأحاديث إلى الطَّعن في جُملتها، باحتمال الكذب في الإسناد حتّى أصبحت السُنّة من بين الادلّة الشرعية مُلغاة عندهم ساقطة عن حيّز الاِعتداد والاِعتماد.... وأصلُ مَنشأ الجرأة على التوسُع في تكذيب الرُوّاة ... كون النُبُوّة عندهم عبقرية لا رسالة حقيقية من الله،..... ثُمَّ يجيءُ دور القرآن، ويكون طريقهم إلى رفضه استعمال الجرأة أيضًا إن لم يكن في تكذيب رُوّاته، ففي تأويل معناه، لاعبين بِعُقول القُرّاء الغافلين، وغير مُبالين بما يتعدُّون في تأويلاتهم عن حدود الله..."[1].
- بيّن على أنّهم حينما جرّدوا حياة نبيّنا عليه الصّلاة والسلام من المُعجزات الكونية، وأثاروا في سبيل هذا التجريد الشكّ في قيمة السُنَّة في الإسلام، إنّما جنحوا إلى هذا الشُذوذ الخطير المُحدث وركبوا متن هذا الشَطط والإسراف في التضحية لِدافع حسن في نفسه، وهُو ترغيب المُستشرقين وعُقلاء الغرب في الإسلام وتحبيبه إلى قُلوبهم وتقريبه من عقولهم، كأنّ المُعجزات الكونية والرّوايات عنها في كُتُب الحديث والسّيرة أصبحت عيبًا في الإسلام وحياة نبيّه عليه الصلاة والسّلام[2].

ج- الرَدُّ عليهم

لقد عمل مُصطفى صبري على الردّ على المدرسة العقلية الحديثة المُنكرة للمُعجزات الكونية، وذلك كما يلي:

3- إبطال مذهبهم: وذلك من خلال ذكر المحاذير الشرعيَّة المُترتِّبة عن إنكارهم للمُعجزات وهي كالآتي:

---

[1] المصدر السابق، ص: 20-21.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 440.

- أنّ "التّشكيك في كُتُب الحديث والسّيرة على الإطلاق يُؤدّي إلى التشكيك في القُرآن أيضًا لأنَّ تلك الكُتُب هي المرجع أيضًا في مسألة جمع القرآن وما التزم فيه من الدقّة في ضبط الأصل"[1].
- أنّ "الإيمان بِدين الإسلام مع عدم الإيمان بِمُعجزة نبيِّ الإسلام غير القرآن يضرُّ بالدِّين ويكون نقصًا فيه إذا كان سببه عدم الاِعتماد على غير القرآن والاِعتقاد بأنَّ ما ثبت في الإسلام إنّما يثبُت بالكتاب والسُنّة أو كان سببه عَدُّ المُعجزات الكونية من المُستحيلات العقلية"[2].
- أنّ "عدم الإعتِداد بِغير التّجربة في اِستيقان وُجود أيِّ شيء؛ يدفع الإنسان إلى إنكار البديهيات، بل إلى الشَكِّ في وُجود نفسِه، وقد أنكروا وُجودهم أنفُسهم فِعلاً بإنكارهم الرُّوح...."[3].
- أنّ إنكار المُعجزات بسبب أنّها أُمور غيبية لا يُقِرُّها العلم الحديث يَلزم منه ثلاثة أمور خطيرة:

الأمر الأوَّل إنكار وُجود الله سبحانه وتعالى لِكونه في مُقدِّمة الأمور الغيبية التي لا يُقرّها ذلك العلم المادِّي، حيث إنّه سبحانه مُتعالٍ عن مُتناول الحواس الظّاهرة والتجارب المادّية[4].

الأمر الثّاني: إنكار نُبُوّة الأنبياء لأنّها تتضمّن الأمور الغيبية من إرسال الملك وإنزال الوحي والكتب[5].

الأمر الثّالث: تكذيب للقرآن الذي ذكر مُعجزات الأنبياء وقصّها علينا بالتّفصيل في بعض الآيات[6].

---

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، (هامش) ص: 92.

[2] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، (هامش) ص: 76.

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص: 416.

[4] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص: 104-105.

[5] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص: 116.

[6] المصدر نفسه، ج4، ص: 183.

4- الردّ على دعاويهم

بالنظر في أقوال المدرسة العقلية الحديثة في مسألة المُعجزات الكونية نجد أنّها تحتوي على ثلاثة دعاوي والتي ردّ عنها الشيخ كما يلي:

الدعوى الأولى: أنّ مُعجزات الأنبياء تُخالف مُقتضى العقل والعلم المُثبت وسنّة الكون

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الدعوى بقوله: "والنّظام الأوّل العام هو الذي يُسمونه القوانين الطبيعية والذي يزعم مُنكروا المُعجزات أنه لا يُمكن تغييرها، ومعنى كونها قوانين أنّها قضايا كُلّية مطّردة الصدق إطِّرادًا عاديًا غير بالغ مبلغ الضرورة والوجوب، فلا يكون خلافه مُحالاً عقليًّا؛ لأنّ تلك القضايا مبنيّة على التجربة والتجربة مهما أطّردت نتائجها وتبجّح العلم الحديث وهواته بالإستناد إليها فلا تكفي في استناد القضية الضرورية إليها لأنّها إنّما تدل على العادة لا على الضرورة المنطقيّة، فإن كانت الضّرورة شرطًا في القانون و لم يكفي اِطِّراد الصدق عاديا فليس هناك شيء يصح أن يُقال «قوانين طبيعيّة»...."[1].

بيّن مصطفى صبري عدم استحالة خرق قوانين الطبيعة مفرِّقًا ما بين هو عادي وما هو ضروري و واجب فهذه القوانين عرفت عن طريق الدليل العادي أو الحكم العادي الذي يستند إلى التجربة والتكرار من خلال الملاحظة والتتبُّع والإستقراء في الكون فهذا الترابط أنتج حُكمًا عاديًا وليس حُكمًا ضروريا أو واجب عقليا فقوانين الطبيعة قوانين عادية وليست ضرورية أو واجبة، ثُمَّ دعّم قوله بأقوال فلاسفة الغرب الذين أنبهر بهم مُنكروا المُعجزة الكونية فقال: "ولذلك أنكر الفيلسوف هيوم[2]، العلم واجتهد كانط[3]، في أن يجعل قوانين العلم أي العلم الحديث المبني على التجربة ضرورة فلم ينجح"[4] ثمّ ساق بعض أقوال الفلاسفة منهم لايبنتز[1]،

---

[1] المصدر السابق، ج4، ص: 30.

[2] **هيوم**: هو ديفيد هيوم فيلسوف ومؤرخ وعالم اقتصاد اسكتلندي، ولد في ادنبره في 26 نيسان(في التقويم القديم)- 7 أيار(في التقويم الجديد) 1711م، وتوفي فيها في 25 آب 1776م. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006، ص: 726).

[3] **كانط**: هو عمانويل كانط فيلسوف ألماني، ولد ومات في كونيغسبورغ (بروسيا الشرقية) (22 نيسان1724م- 12 شباط 1804م). (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006، ص: 513).

[4] المصدر نفسه، ج4، ص: 30.

حيث قال: " ليست القوانين الطبيعية عنيدة محضة، ولا ضرورية بالضرورة الهندسية"[2]....

وبذلك يُبطل مصطفى صبري قول من قال أنّ المُعجزة الحسّية مُستحيلة الوُقوع؛ لأنّها من المُحالات العقلية، فبيّن أنّ خرق القوانين الكونية لا يدخل في المُحال العقلي وإنّما يدخل في المحال الطبيعي....[3].

وأمّا أنّها تُخالف العلم المُثبت فقال الشيخ: " ليس من حق هذ العلم أن يتكلّم ويحكم في إثبات الواجب أو نفيه والإعتراف بالأديان أو إنكارها فإن تكلّم وحكم فقد تعدّى حدوده وخرج عن موضوعه فلا يكون مسموع الكلمة ولا نافذ الحكم ولا يجوز أن يكون معنى توقف أصحاب العلم الحديث فيما وراء علومهم، أنّ الحق مُنحصر في دائرة تلك العلوم الضائقة وأنّ ما عداها باطل إذ الدّنيا لا يُمكن أن تعيش بالعلوم المُثبتة فقط بل معناه أنّ تلك العلوم يحكم في ساحتها التي تختص بها ولا تتدخل فيما يخرج عن ساحتها وما لم تصل إليه خطواتها فلا تتعجل في القول بالإثبات والنفي، نعم تقول إنّه ليس بثابت في نظرها لكونه خارجًا عن موضوعها وليس معناه أنّه ليس بثابت أصلاً فيُمكن أن يكون ثابتًا ويتولى إثباته علم آخر، حتّى أنّ مالا يكون مُثبتًا في نظر العلوم المُثبتة قد يكون مُثبتًا في نظر العالم بالعلوم المُثبتة لأن العالم لا يتقيّد به العلم فيُمكن أن يكون له حظ من علم آخر ويكون فيه إثبات ما لم يثبت في العلوم المُثبتة...."[4].

وأمّا أنّها تُخالف سنّة الكون فقد بيّن أنّ من طبيعة المُعجزة أنّها تخرق سُنّة الكون، فإذا لم تخرقها فإنها لا تكون مُعجزة حيث قال: " أمّا مُخالفة المُعجزات لسنّة الكون فنحن نعترف بها، ولا ندّعي أنّ المُعجزات من الأفعال الطبيعية وأنّها تنطبق مع سنّة الكون؛ التي هي سُنّة الله

---

[1] **لايبنتز**:هو غوتفريد فلهلم أعظم فيلسوف ألماني قبل كانط، وعالم بالرياضيات ولاهوتي وكيميائي وهندسي ومؤرخ ودبلوماسي، ولد في 1 تموز 1646م في لايبتزغ، ومات في 14 تشرين الثاني 1716 في هانوفر.
(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006، ص: 578).

[2] المصدر السابق، ج4، ص: 31.

[3] محمد عمارة و العربي بن الشيخ، المعجزة الكونية ودلالتها على الرسالة عند مصطفى صبري، ص: 190.

[4] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 429.

العمومية، وإنّما هي مُنطبقة على سنة الله الإستثنائية، ونحن لا نقبل كون مُخالفة المُعجزات لسنّة الكون مانعة عن وُقوعها، بل إنّ هذه المُخالفة لازمة مطلوبة لتكون المُعجزة مُعجزة[1].

الدعوى الثانية: أنّ مُعجزات الأنبياء لا حُجة فيها بل هي شبهة

لقد فنّد مصطفى صبري هذه الدعوى وبيّن أنّ المُعجزات حُجّة بالنسبة لصدق الأنبياء لأنّ القرآن الكريم يعبّر عن تلك المُعجزات تارة بالحق وتارة بالبيّنات وتارة بالآية الكُبرى وتارة بالسّلطان وتارة بالبرهان وتارة بالفرقان، حُجة في أنّها حُجة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾[يونس: ٧٦- ٧٧]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١]، وقال: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[البقرة: ٥٣] وقال: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾[القصص: ٣١ - ٣٢]، وقال: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[النازعات: ٢٠]، وقال: ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٨][2].

وبيّن الشيخ مايلزم من هذه الدعوى الباطلة حيث قال:" إذا كان القرآن حُجة قطعية على نُبوة رسولنا لزم أن يكون حُجة أيضًا في أنّ مُعجزات الأنبياء غير القرآن حُجة على نُبواتهم، بشهادة القرآن في آياته....كقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ

[1] المصدرالسابق، ج4، ص: 110.

[2] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص: 121.

بِبَعْضٍ ﴾[البقرة: ٨٥]، أم تقولون أن القرآن شهد على نُبُواتهم فلا حاجة إلى شهادة مُعجزاتهم التي هي شُبهة لا حُجة، رغم تعبير القرآن عنها بأسماء عالية؟ فإذًا يلزم أن تكون نُبواتهم قبل نزول القرآن قائمة على شُبهة، وإيمان من آمن بهم في عهدهم مبنيا على شُبهة، ومُعجزاتهم بعد أن نزل القرآن وأشاد بذكرها وتفنن، لا تزال شُبُهات[1].

وأمّا قولهم بأنّ المعجزات مُشابهة لأعمال السحرة والمُشعوذين والدجّالين فقد ردّ عليها الشيخ بقوله: "كما لا يقدح في الأحجار الكريمة والجواهر الفاخرة ولا يُنقص من قيمته الغالية، وُجود زيوف تشابهها وتلتبس مع أصولها الحقيقية في أعين الغافلين وأنظارهم الحمقى، كذلك لا يقدح في آيات الله التي أظهرها على أيدي من اصطفاهم للرسالة إلى النّاس، وُجود مشعوذين من أهل السحر والدجل...."[2].

وأمّا قولهم بأنّ المُعجزات غير ضامنة لإيمان كلّ من اطّلع عليها فقد ردّ عليها الشيخ بقوله: "ولا يلزم أن تكون المُعجزة حتّى مُعجزة الهداية ضامنة للهداية بالنسبة إلى كل زمان وكل إنسان، وهذا القرآن مع كونه في رأس مُعجزات الهداية ما آمن به إلا من شرح الله صدره للإسلام فمسألة الهداية بيد الله فهو يهدي من يشاء ويُضل من يشاء، ويهدي من يهديه إذا شاء من غير مُعجزة ومن غير نبي، إلاّ أنّه لا يُعذب النّاس حتّى يبعث رسولا، وبالمُعجزات تتم حجته عليهم"[3].

الدعوى الثالثة: أنّ القرآن الكريم مُعجزة عقلية لا كونية، وأنّه المُعجزة الوحيدة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنّه لم يرد في القرآن ما يدلّ على ذلك قولهم أن المُعجزة عقلية لا كونية

فقد فنّد مصطفى صبري هذه الدعوى وبيّن أن المعجزة عقلية وكونية معًا فقال: "وكان القرآن أفضل مُعجزة وأوفقها لأن يكون مُعجزة مؤيدة لنُبُوة خاتم الأنبياء يُخاطب العقول

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص: 50.

[2] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، (هامش) ص: 122.

[3] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، (هامش1) ص: 82.

النّاضجة لإرشادات من سبقوه صلوات الله عليهم كلهم وكان بهذا المعنى حُجة عقلية لا بمعنى أنّه ليس بمُعجزة كونية خارقة لِسُنّة الكون لأنّه مُعجزة عقلية وكونية معًا...."[1].

وأمّا قولهم أنّ القرآن الكريم هو المُعجزة الوحيدة للنبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ولا يُحتاج لغيرها في الإيمان بالله وكذلك الرّسالة فقد ردّ الشيخ بقوله: "كأنّ الله تعالى أظهر تلك المُعجزات على يده عبثًا مُستغني عنها، ثمّ لمّا كان نبيّنا مبعوثًا إلى النّاس كافة وفيهم أمم غير العرب لا تُدرك إعجاز القرآن إلاّ من أكبّ منهم على تعلم اللغة العربية وأنفق شطرًا كبيرًا من عمره في وجبل على طبع أدبي سليم ، فلا تصح دعوى استغناء هذه الكثرة العُظمى في تصديق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عن مُعجزاته الكونية التي روتها كتب الحديث."[2].

وأمّا قولهم بأنه لا وجود لأيّ معجزة كونية للنبي صلى الله عليه وسلم مذكورة في القرآن الكريم فقد ردّ الشيخ عنها عن طريق ذكر الآيات الدالة على أنّ الله تعالى أيّد نبيه محمد صلى الله عليه بمعجزات كونية أخرى إضافة للقرآن الكريم أذكر منها:

- آيات تدل على بعض المُعجزات كمعجزة اِنشقاق القمر قال الله تعالى: ﴿ **ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١** ﴾ [القمر: ١]، ومعجزة الإسراء والمعراج قوله تعالى:

﴿ **سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١** ﴾ [الإسراء: ١]

- آيات تدل على تأييد الله للنبي صلى الله عليه وسلم في غزواته منها قول الله تعالى:

[1] مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص: 109.

[2] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، (هامش3) ص: 80-81.

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٢٣] .

****

المطلب الثالث: قضية وفود القوانين الوضعية على التشريع

لقد كان لدخول القوانين الوضعية الغربية الأثر البليغ بتكريس القول بلزوم فصل الدين عن الحياة، وإقصائه عن شؤون البلاد السياسية وحُكمها، والتي تجعل القوانين التشريعية المُستمدّة من الوحي مُعطَّلة، وهذا ما جعل الشيخ مصطفى صبري يُكرّس علمه في إثبات عدم صلاحية القوانين الوضعية في تنظيم شؤون الأمّة، والردّ على الشُّبُهات المُثارة على الشريعة الإسلاميّة وتطبيقها كان على النحو الآتي:

الأوّل: إثبات أن القوانين الوضعية غير صالحة للعمل بها

بيَّن مُصطفى صبري أن هناك فرقا شاسعا بين تطبيق القوانين التي تكون مُستمدّة من الوحي ومن القوانين المُستمدّة من البشر وكان على النحو الآتي :

1– أن كون القانون مُستندًا إلى الوحي الإلهي يجعله مُحترمًا في نظر المُكلّفين بمُراعاته والوُقوف عند حُدوده، وأيُّ احترام للقانون يعدل وصفه بالقداسة؟ وهذا في حين أنّه يكون خُضوع الإنسان للقوانين التي هي صُنع إنسان مِثله ثقيلاً على النُّفوس العزيزة ولو كانت تلك القوانين عادلة، ولو كان واضِعُها إنسانًا كبيرًا، لأنّ وضع القانون نوع من الحكم بل هو سِنامُ الحُكم، وحُكم الإنسان على الإنسان نوعٌ من الاِسترقاق والاِستعباد[1].

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 325.

2– لا كلام في احتياج كل مُجتمع بشري يُريد أن يعيش عيشة مدنيّة إلى حُكومة وقوانين يُطيعُها النّاس وهي تصونهم عن الفوضى وتُوقف كل أحد عند حده، ولا كلام أيضًا في لُزوم أن يكون جميع النّاس سواء أمام القانون فلا يكون في استطاعة بعضهم أن يميل القانون إلى جانب مصلحته على حساب بعض، فإذا كانت القوانين من موضوعات الإنسان الذي يجب أن يكون تحت طاعة القانون عند تطبيقه، يكون القانون تحت طاعته عند وضعه، وهذه وصمة لا تصفُوا منها القوانين الموضوعة من قِبل البشر، ومَنقصة تفتح الباب لِما يُقال عنه التلاعب بالقانون، وليس التلاعب بالقانون خاصًّا بإهماله أو تطبيقه على مالا ينطبق عليه، فقد يكون القانون ملعبة في أوّل وضعه إذا لم يكن للواضعين قيود يتقيَّدون بها وحدود يقفون عندها[1].

إذًا فالقوانين الوضعية وُضعت لتحكم فئة مُعيَّنة دون واضعيها، وهذا الذي يجعلها تكتسي في طيَّاتها الظلم وعدم المُساواة بين الأفراد، ولهذا فإنّه لابد لهذه القوانين أن تكون سماوية حتى تحكم جميع البشر دون تمييز .

الثاني: الردّ على الشبُهات المُثارة حول الشريعة الإسلامية وتطبيقها

لقد أثار أعداء الإسلام الدّاعين إلى تطبيق القوانين الوضعية؛ شُبُهات عديدة حول الشريعة الإسلامية ومدى صلاحية تطبيقها، وهذا ما جعل الشيخ مصطفى صبري يرد على هذه الشبهات التي أذكر أهمها:

الشبهة الأولى: أن الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني

فنّد مصطفى صبري هذه الشبهة قائلا: "مِن أفرى الفِرى ما انتقل من ألسنة بعض الأعداء المُخرِّفين إلى ألسنة بعض المُؤلفين مِنّا، أنّ قوانين الفقه الإسلامي من قانون الرومانيين، والقائل به أو بإمكانه جاهل لم يدرس علم الفقه ولا علم أصول الفقه، ولو درس لوقف على مأخذ كل مسألة ومرجعها في الكتاب والسُنّة "[2].

إذًا فإن الفقه الإسلامي مُستمد من الكتاب والسنّة وهذا دليل قاطع على بُطلان هذه الشُبهة.

الشبهة الثانية: تطبيق الشريعة الإسلامية تُحقِّق الامتياز لرجال الدِّين دون غيرهم

[1] المصدر السابق، ج4، ص:329.

[2] المصدر نفسه، ج4، ص: 296.

فنّد مُصطفى صبري هذه الشبهة بقوله: "ويجب التنبيه هنا بصدد نفي التحيُّز اللازم للقانون البشري عن القانون السماوي، إلى عدم صحة ما يُظن من أن العمل بالقوانين الدينية يُوجِد امتيازًا لرجال الدِّين على غيرهم فيجري التحيُّز في القانون الديني أيضًا؛ لأنّ ذلك امتياز العلم لا امتياز الحكم، ومنشأ الغلط في هذا الظنّ قياس علماء الدّين في الإسلام من اللَّذين لم يعرفوا الإسلام ولم يدرسوه على رجال الكنائس اللذين يضعون القوانين الدّينية من عند أنفسهم فيتحكمون على القانون، ويستبدّون فيه بآرائهم وهم سواء في ذلك مع رجال الحكومات الزمنية القادرين على وضع ماشاءوا من القوانين ..... وعلماء الإسلام المُجتهدين لا يرون لأنفسهم حقّ التشريع أبدًا، إنّما التشريع في الإسلام لله ولرسوله بوحيٍ من الله"[1].

فالحاكم في الدولة الإسلامية هو القانون الإلهي بتمام معنى الكلمة، والكُلُّ حتّى السلطان أو الخليفة تحت حُكمه وسُلطته، وليس لأحد حكم على هذا القانون الذي ليس من صُنع البشر والذي يقفون مُتساوين أمامه غير مُحسِّين بِثقله عليهم لكونه على السويّة ولِكونه من الله الذي خلقهم، بخلاف القوانين البشرية فإنّها مهما كانت حاكمة على النّاس فالحاكم فيها في الحقيقة بعضُ النّاس على النّاس[2].

إذًا فإن الشريعة الإسلامية تُحقق الامتياز لرجال الدّين من ناحية العلم لا من ناحية الحكم.

الشُبهة الثالثة: أنّ الشريعة الإسلامية جامدة غير قابلة للتَّجديد المُواكب لِمُستجدات العصر

فنّد مصطفى صبري هذه الشُبهة بأن بيّن أنّ حُصول التغيير والتَّطوير في الأحكام الشرعية، يُؤدّي بالضرورة إلى التلاعب بتلك الأحكام والقوانين،ومن هنا كان القانون البشري قانونا غير حقيقي، وفي ذلك يقول الشيخ: "القانون الذي يأمر بشيء أو ينهى عن شيء في الأكثر لابد أن يتضمن ما يُنافي الحُرِّية ويُقَيِّدُها وأن يشمل هذا التَّقييد حتّى حُرّية الواضعين أنفسهم ليكون قانونًا عامًّا، فإذا كان البشر واضع القوانين وكان حُرًّا في إصدار ما يشاء قانونًا وإلغاء ما يشاء

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 341.

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 527.

منه في اليوم الثاني، يكون القانون الذي يُقيِّد الحُرِّيات لا يُقيِّد حُرِّية الواضعين، وهذا ما نُسمِّيه التَّلاعب بالقانُون..."[1].

****

المطلب الرابع: قضية ترجمة القرآن الكريم

لقد أثار أصحاب الانقلاب الكمالي اللاَّديني في تركيا فتنة ترمي إلى هجر القرآن العربي المُنزَّل على نبي الرّحمة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بترجمته إلى اللُّغة التُركيّة وإقامة المُترجم مقام الأصل في الصلاة وفي غيرها من العبادات والمُعاملات إمعانًا منهم في البُعد عن الإسلام وسيادة القرآن، فقام بعضّ الكُتّاب في مصر بالدفاع عن تلك الفتنة وترويجها وإغراء الشعوب الإسلامية بالأخذ بها، فحرّروا المقالات الطِوال لِتأييد الكماليين في مسعاهُم، وأعدّوا لهم المُستندات والأدلة من الكُتُب الفقهية، ومن أبرزهم محمد فريد وجدي[2]، ومحمد مُصطفى المراغي[3].[4]

وهذا ماجعل مُصطفى صبري يُقابلُ تلك الأصوات بِصوت يُدافع عن سيادة القُرآن العامة، وصيانة الأمّة التركية أن يُقطع لها آخر حبل يربطها بوِحدة الإسلام[5].

---

[1] مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج4، ص: 343.

[2] **محمد فريد وجدي:** (1295- 1373هـ / 1878 - 1954م) مؤلف (دائرة المعارف) من الكتاب الفضلاء الباحثين، ولد ونشأ بالإسكندرية، من كتبه: "المدنية والإسلام"، "ماوراء المادة "، " صفوة العرفان". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:6، ص:329).

[3] **محمد مُصطفى المراغي**: (1298 - 1364هـ / 1881 - 1945م) محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، باحث مصري، عارف بالتفسير، من دعاة التجديد والإصلاح، من كتبه: "تفسير سورة الحجرات"، "الدروس الدينية"، "تفسير سورتي لقمان والعصر". (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:7، ص:103).

[4] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 231-232.

[5] مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، ط1، القاهرة، المطبعة السلفية، 1352هـ، ص: 3.

تناول الشيخ مسألة الترجمة من وِجهتها الشرعيّة، حيث درس المسألة دراسة فقهية، ودقّق النظر في أقوال فقهاء الحنفية في المسألة، ونقض مساند القائلين بالترجمة قديما، وقرّر أنّه يستقيم لدعاة الترجمة حديثًا أن يتّخذوا مذهب الإمام أبي حنيفة[1] سندًا لهم لرجوعه عنه من جهة، ولكون مذهب الأحناف عُمُومًا في المسألة ضعيفًا في حد ذاته من جهة الأخرى، وناقش أقوال الشيخ المراغي وبيّن ما فيها من تلبيس بين معنيي القدرة على العربية والعجز عنها في كلام الفُقهاء،.... ونبّه على أنّ الترجمة المعنوية إنّما هي جزء من القرآن، واسم الكل لا يُطلق على الجُزء، ومن هنا فإنّه لا يصح إطلاق اسم القرآن على ترجمتها المعنوية، وبالتالي لا تنوب تلك الترجمة عن الأصل ولا تقوم مقامه[2].

وتكلّم الشيخ أيضًا عن خُطورة الدفاع عن الكماليين وتسويغ أعمالهم ومقاصدهم السيّئة التي باتت لا تخفى على أحد، وبيّن مدى سخافة تلفيق الأسانيد العديدة من الكتب الفقهية لتأييد مسعاهم في ترجمة القرآن إلى اللّغة التركية، في حين أنّهم ألغوا الإسلام تمامًا، وأبطلوا جميع الكُتُب والمذاهب الإسلامية واعتبروا التمسّك بها تخلُّفًا ورجعيّة، ثمّ بيّن المفاسد والمضار الكثيرة المُترتّبة على فتح الباب لترجمة القرآن الكريم إلى غير لغته المُترل بها والاستغناء بالترجمة عن الأصل[3].

[1] **أبو حنيفة**: (80 - 150هـ / 699 - 767م) النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وكان قويّ الحجة، من أحسن الناس منطقا. (خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م، ج:8، ص:36).

[2] مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص: 233.

[3] المرجع نفسه، ص: 234.

خـــاتمـــــة

خـــــاتمـــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده وأشكره على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، ومنها إتمام هذا البحث. وأسأله سبحانه وتعالى المزيد من فضله وتوفيقه، وأصلي وأسلم على النبي المصطفى المختار وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد توصلت من خلال بحثي إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أذكرها في النقاط التالية:

- **النتائج:**

1- مصطفى صبري عالم من أعلام المسلمين في العصر الحديث المنادية للرجوع إلى الكتاب والسنة.

2- مصطفى صبري من الشخصيات التي دعت إلى تجديد علم الكلام، وأكّد على أن لكل عصر أفكاره ومباحثه التي يجب أن يتناولها علم الكلام.

3- تجديد علم الكلام هو العمل على تطويره وتكييفه لطور جديد من أطوار التاريخ ليستجيب لمتطلبات الحياة المتغيرة، ويتناسق مع التحديات المعاصرة.

4- تجديد علم الكلام سبيل إلى مجابهة التحديات المعاصرة.

5- تجديد علم الكلام لابد أن ينبني على دعائم متينة وثابتة حتى يقوم بدوره على أكمل وجه، ومن ذلك التناسق بين منهج وقضايا علم الكلام الجديد والتحديات المعاصرة.

6- تجديد علم الكلام عند مصطفى صبري يقوم على العلم المادي الحديث مع التمسك بالمصطلحات الدينية.

7- موازنة مصطفى صبري بين الدليل العقلي والدليل الحسي التجريبي في مناقشة الملاحدة.

8- جمع مصطفى صبري في مناقشته لأعداء الدين والرد على شبهاتهم بين الموضوعات القديمة كإنكار وجود الله وإنكار النبوة، والموضوعات الجديدة المعاصرة كوفود القوانين الوضعية على التشريع.

- **التوصيات:**

تجديد علم الكلام من المواضيع الجديدة في مجال الدراسات العقائدية، ولهذا أوصي الباحثين بالاهتمام به بحثا ودراسة، ولابد لهذا التجديد أن يكون وراءه علماء من المسلمين ساهموا في سبيل تحقيق ذلك، ومن هنا أوصي بدراسة أعلام المسلمين الذين كان لهم قدم السبق، والمساهمة البالغة في تحدي الصعاب والعمل على تجديد علم الكلام من أجل تحقيق الغاية الأسمى وهي الحفاظ على الثوابت العقدية عند المسلمين، والردّ على كل من سوَّلت له نفسه الطعن فيها.

وفي ختام هذه الدراسة أقول ماكان من صواب فمن الله وحده وما كان منّي من خطأ فمن نفسي والشّيطان، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهـــارس العـــامة

1. فهرس الآيات القرآنية.
2. فهرس الأحاديث النبوية.
3. فهرس الأعلام المُترجم لهم.
4. قائمة المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية أو شطرها	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	البقرة	53	65
﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾	البقرة	85	66-65
﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾	البقرة	87	65
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ... ﴾	البقرة	285	38-37
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	آل عمران	102	أ
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	آل عمران	123	68
﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ... ﴾	آل عمران	13	68
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ... ﴾	النساء	1	أ
﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	النساء	158	59

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾	النساء	165	52
﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ ... ﴾	الأنعام	33	57
﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖ ... ﴾	الأنعام	35	55
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ ﴾	الأنعام	91	56
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ... ﴾	يونس	77-76	65
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ... ﴾	الإسراء	1	67
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ بَيِّنَٰتٖ ﴾	الإسراء	101	65
﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾	الفرقان	7	56
﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ... ﴾	الشعراء	4-3	55
﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ	الشعراء	67-63	58

﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ... ﴾			
﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ... ﴾	القصص	32-31	65
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾	الروم	47	65
﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ... ﴾	الجاثية	24	38
﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾	الذاريات	38	65
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	النجم	4-3	56
﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾	القمر	1	58 و 67
﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾	النازعات	20	65

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
« إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »	29
« يارسول الله، ما الإيمان؟ قال: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّه، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِه، وَرُسُلِه، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ"..... »	38

فهرس الأعلام المُترجم لهم

الاسم	الصفحة
أحمد أفندي زُولْبيه زاده	9
أحمد عاصم الكومِلجنوي	10
محمد أمين الدُّورِيكي	10
السلطان محمد الفاتح	11
السلطان عبدالحميد	11
محمد ذُهني أفندي	18
موسى جار الله	18
أبو حامد الغزالي	23
ابن خلدون	24
الفارابي	25
عمرو بن عبيد	26
واصل بن عطاء	26
البخاري	27

القاضي عبد الجبّار	27
أبو بكر الباقلاني	27
أبو منصور الماتريدي	27
ابن تيمية	27
السنوسي	28
عضد الدّين الإيجي	28
العلقمي	29
المناوي	30
داروين	39
باكون	45
محمد عبده	58
رشيد رضا	58
محمود شلتوت	59
هيوم	63
كانط	63

لايبنتز	64
محمد فريد وجدي	71
محمد مُصطفى المراغي	71
أبو حنيفة	72

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم (مصحف المدينة).

● الكتب

1- ابن خلدون، المقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مطبعة مصطفى محمد، مصر، (د.ت).

2- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، ت: أحمد عبد الغفور عطار، 1984م.

3- أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، ت: عثمان أمين، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968م.

4- أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، من منشورات الجامعة اللبنانية، مكتبة الشرقية، بيروت، (د.ن)، (د.ت).

5- أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط)، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت).

6- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة: جدد، ط3، بيروت، دار الصادر، 1414ه .

7- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، بيروت، دار الطليعة، 2006.

8- وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي المنهج والشروط، ط1، القاهرة، دار الصحوة، 1984.

9- حمد كمال، حوار لا مواجهة من أجل طرح جديد لقضايا علم التوحيد، دار الشروق، 1988م.

10- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002م.

11– زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، فيض القدير، ط: 1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1956هـ.

12– سيد بن الحسين العفاني، زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين، (د.ط)، القاهرة، دار العفاني، (د.ت).

13– الشافعي حسن محمود، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط2، القاهرة، مكتبة وهبة، 1991.

14– عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام الجديد مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدِّين، ط1، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدِّين، 2016م.

15– عبدالمجيد النجار، الإيمان بالله وأثره في الحياة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997م.

16– علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، (1415هـ-1994م).

17– عمر عبيد حسنة، الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.

18– الغزالي، المنقذ من الضلال، ت: عبدالحليم محمود، ط2، بيروت، دارالكتاب اللبناني، 1985م.

19– محمد السيد الجليند، من قضايا الفكر الإسلامي، (د.ط)، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، (د.ت).

20– مسلم، الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي،(د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث، (د.ت).

21– محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، (د.ط)، الرياض، مكتبة المعارف، (د.ت).

22– مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، (د.ط)، دار الوراق المكتب الإسلامي، (د.ن)، (د.ت).

23–محمد باقر الصدر، موجز أصول الدّين، تح: عبدالجبار الرفاعي، ط1، بيروت– لبنان، دار الهادي، 1421هـ–2000م.

24– محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، (د.ط)، القاهرة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، 1414هـ/ 1994م.

25– محمد عبدالرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1، المكتبة التجارية، القاهرة، 1356هـ–1938م.

26– محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر،ط7،مؤسسة الرسالة، ، 1405هـ/ 1984م.

27– مصطفى صبري، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، تعليق: مصطفى حلمي، ط1، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية،1425هـ/ 2004م.

28– مصطفى صبري، القول الفصل بين اللذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، (د.ط)، القاهرة، (د.ن)، 1361هـ.

29– مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، ط1، القاهرة، المطبعة السلفية– ومكتبتها، 1352هـ.

30– مصطفى صبري، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط2، بيروت– لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1401هـ/ 1981م.

31– مصطفى عبدالرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1363هـ–1944م.

32– مفرح بن سليمان القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ط1، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1418هـ/ 1997م.

33–مفرح بن سليمان القوسي، مصطفى صبري المفكر الإسلامي والعالم العالمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا، ط1، دمشق، دار القلم، 1427هـ/ 2006م.

34– الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: مانع بن حماد الجهني، ط4، (د.م.ن)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ .

35- يحي هاشم حسن، الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف، (د.ن).

• الرسائل الجامعية

36- بوبكر العربي، المنهج العقلي في الصفات عند المتكلمين دراسة مقارنة بين المعتزلة والأشاعرة، درجة الماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة أبي بكر بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، 1436هـ - 2015م.

37-جمال الأشراف أبو الحسن علي الحسني الندوي وبناء علم الكلام الجديد،درجة الدكتوراه، كلية أصول الدّين، قسم العقيدة، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة- الجزائر، 1440هـ - 2019م.

38-سعود بن عبد الرحمان بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، رسالة الماجستير في العقيدة، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، السعودية، 1422/1421هـ.

• المجلات

39- محمد خيري حسن العمري، "علم الكلام بين الأصالة والتجديد"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 3/أ، 1430هـ- 2009م.

40-محمد عمارة والعربي بن الشيخ، "المعجزة الكونية ودلالتها على الرسالة عند مصطفى صبري"، مجلة الشهاب، عدد: 2، (1439هـ-2018م)، معهد العلوم الإسلامية،جامعة الوادي.

41-حسان عبدالله حسان، " الإصلاح المعرفي والتغريب في العالم الإسلامي" (2)، مجلة المسلم المعاصر، العدد 153، 2014م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
ملخص البحث	
قائمة الرموز والإشارات	
مقدمة	أ–و
مبحث تمهيدي: الترجمة الشخصية لمصطفى صبري	8
المطلب الأول: الاسم والنسبة و المولد والنشأة	8
المطلب الثاني: النشاط العلمي والسياسي	10
الفرع الأول: النشاط العلمي	10
الفرع الثاني: النشاط السياسي	13
المطلب الثالث: آثاره العلمية	15
الفرع الأول: الكتب المطبوعة والمخطوطة	16
الفرع الثاني: أبحاثه ومقالاته وأشعاره	20

المطلب الرابع: مرضه ووفاته	21
المبحث الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام	23
المطلب الأول: تعريف علم الكلام ومراحله	23
الفرع الأوّل: تعريف علم الكلام	23
الفرع الثّاني: مراحل علم الكلام	26
المطلب الثاني: معنى التجديد في اللغة والاصطلاح	29
الفرع الأول: التجديد لغة	29
الفرع الثاني: التجديد اصطلاحا	29
المطلب الثالث: بيان المقصود بتجديد علم الكلام	30
المطلب الرابع: بواعث التّجديد في علم الكلام ودعائمه التي يتحقق مقصده بها	31
الفرع الأول: بواعث التّجديد في علم الكلام	31
الفرع الثاني: دعائم التّجديد في علم الكلام	34
المبحث الثاني: إسهامات مصطفى صبري في تجديد علم الكلام	37
المطلب الأوّل: قضية الجانب الإلهي	37
الفرع الأول: عرض حجج وشُبهات المُلحدين	38

الفرع الثاني: مواجهة الفكر الإلحادي	41
المطلب الثاني: قضية إنكار النبوة والمعجزات الكونية	51
الفرع الأول: إنكار النبوّة	51
الفرع الثاني: إنكار المُعجزات الكونية	57
المطلب الثالث: قضية وفود القوانين الوضعية على التشريع	68
المطلب الرابع: قضية ترجمة القرآن الكريم	71
خاتمة	75-74
فهرس الآيات القرآنية	79-77
فهرس الأحاديث النبوية	79
فهرس الأعلام المُترجم لهم	82-80
قائمة المصادر والمراجع	86-83
فهرس الموضوعات	89-87